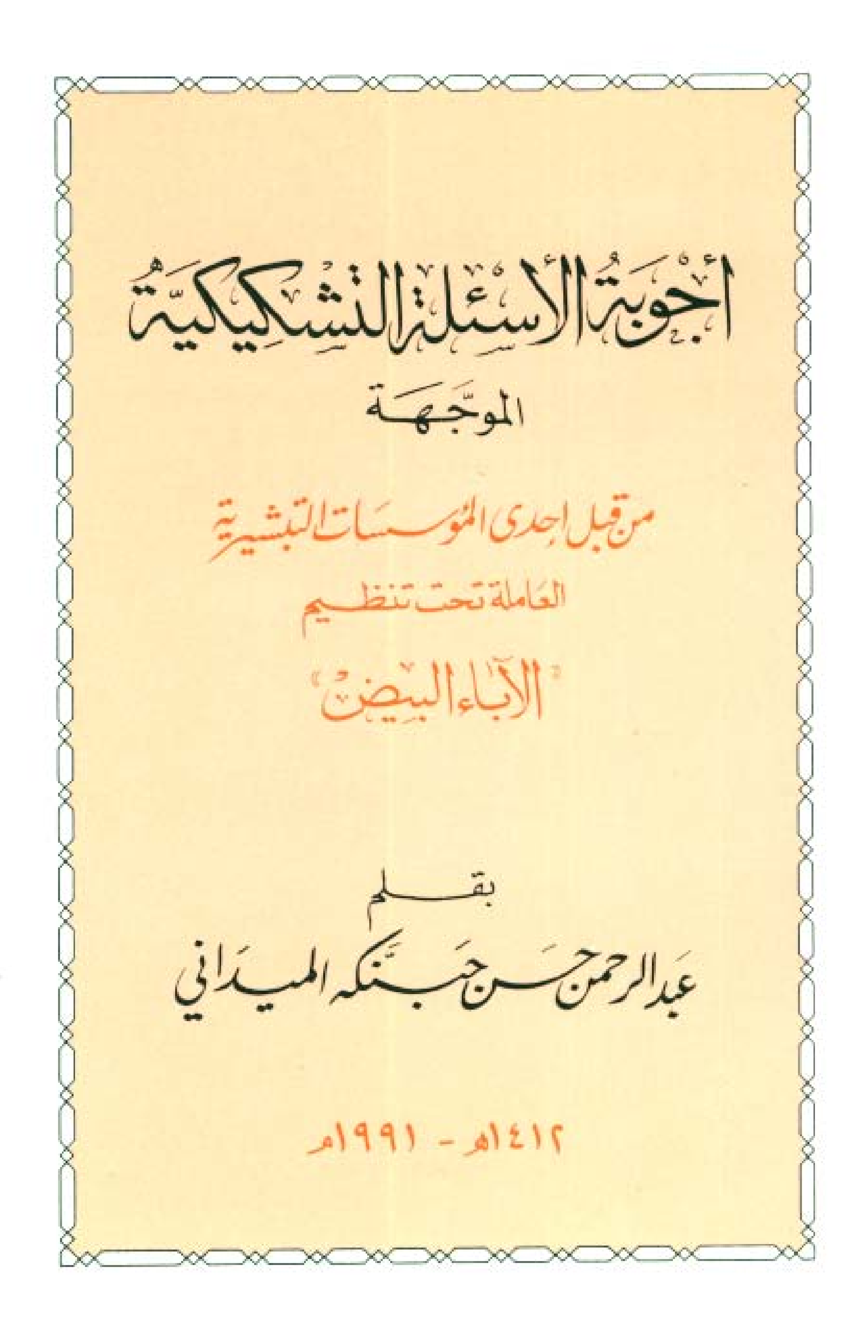


أجوبة الأسئلة التشكيكية

الموجهة

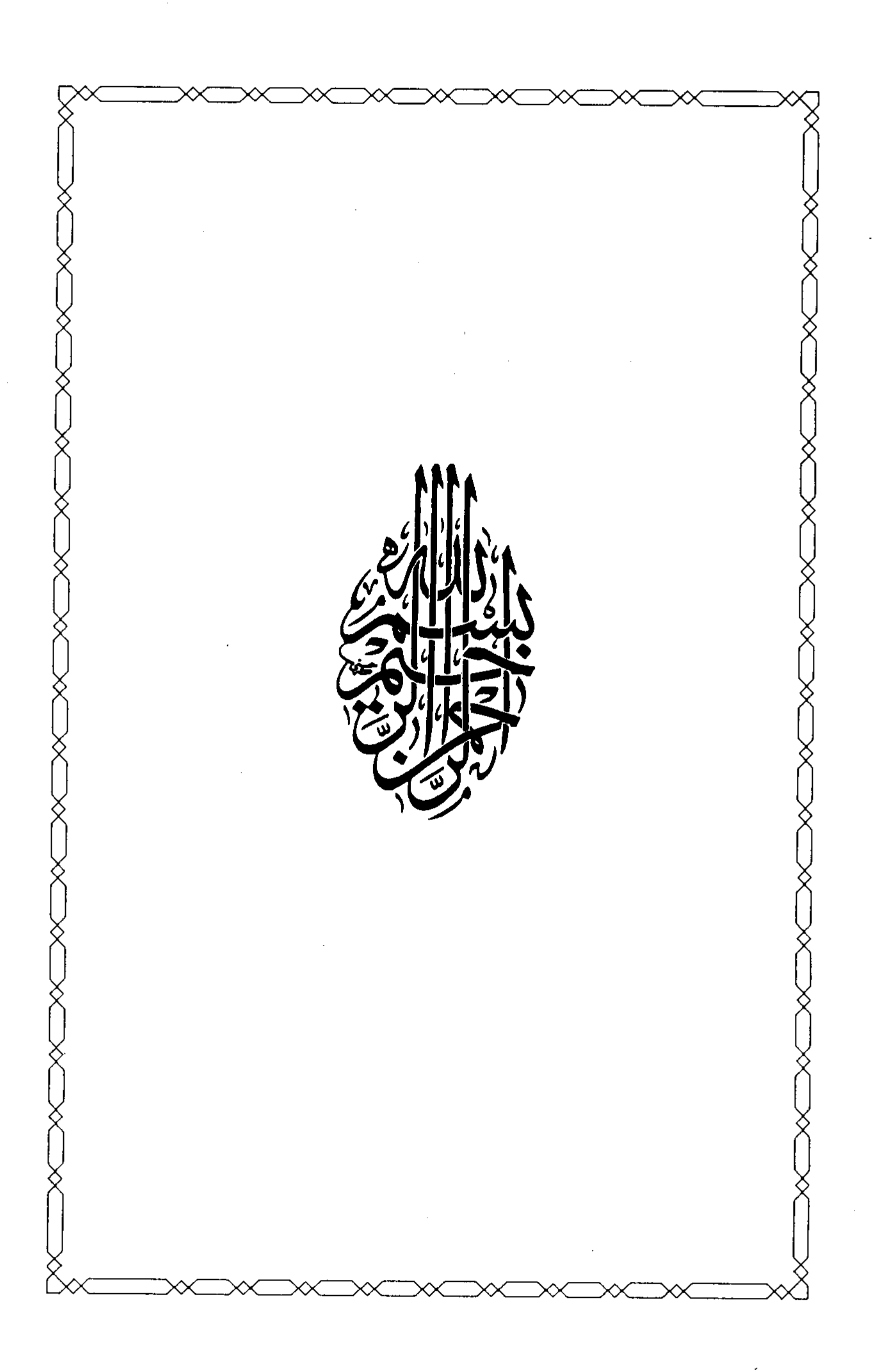
من قبل إحدى المؤسسات التبشيرية
العاملة تحت تنظيم
"الآباء البيض"

بقلم
عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني

١٤١٢هـ - ١٩٩١م

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it



http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

أجوبة الأسئلة التشكيكيِّة

الموجَّهة

من قِبل إحدى المؤسسات التبشيرية

العاملة تحت تنظيم

((الآباء البيض))

بقلم

عبد الرحمن حسن حبنَّكه الميداني

١٤١٢ هـ ـ ١٩٩١ م

http://kotob.has.it

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م

مكتبة المنارة

مكة المكرمة - العزيزية

مدخل جامعة أم القرى

هاتف ٥٥٦٦٢٧٥ ص ب ٢٦٥٣

http://kotob.has.it

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الهادي إلى سواء الصراط ، والباعث رسله مبشرين ومنذرين ، وداعين إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، مزودين بالآيات الواضحات ، وبسلطان من الحق مبين .

فمن اهتدى فلنفسه سعى ، فنجا من عذاب الله وسعد في جنته ، ومن أبى فعلى نفسه جنى ، ولن يضر الله شيئا ، ولن يغير من الكون شيئا ((وكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ)) وكان مصيره إلى العذاب الأبدي في سقر ، و : [يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُوْنِ اللَّهِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا] فإننا نقول لكم ما أمرنا به ربنا : [اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ] من سورة (آل عمران /٣) الآية /٦٤

ونعوذ برب الناس ، ملك الناس ، إله الناس ، من شر

http://kotob.has.it

الـوسـواس الخناس ، الذي يوسوس في صـدور الناس ، من الجنة والناس .

وبعد :

فقد جاءني خطاب من أمين المجلس القاري للمساجد في أوروبا ، مصحـوب بأسئلة تقدمت بها إلى الأمـانة العامة للمجلس القاري لمساجد أوروبا في مدريد ـ إسبانيا ـ إحدى المـؤسسات التبشيرية العـاملة تحت تنظيم " الآباء البيـض " وأنه جاء في خطاب هذه المؤسسة التبشيرية أن هذه الأسئلة ستـوزع على العـديد مـن التيـارات الفكـرية الإسلاميـة ، لتنتقي الأجوبة وفق ما تراه مناسبا .

ورأت الأمانة العامة للمجلس القاري لمساجد أوروبا ـ كمـا جاء في خطابهـا ـ القيام بإصدار كتـاب يحـوي ردود العلماء والفقهاء في العالم الإسلامي . وقد أحسنت الظّن بي فدعتني إلى الاهتمام الشديد بالرَّدِّ على هذه الأسئلـة ، لتقوم بترجمتهـا مـن قِبَلِ أهل علم باحثين يهتمـون بالـرَّدِّ عليهـا .

http://kotob.has.it

ثمّ لتقوم بنشرها ضمن كتاب يمكن أن يصبح مرجعاً لمن يريد بشكل علميّ وبتجرد الاطلاع على ردّ الإسلام على الأسئلة الموجهة .

واضطلاعاً بواجبي الشخصي نظرت في الأسئلة ، فكتبت ما فتح الله به عليّ من إجابات ، فأرجو أن تكون نافعات مقنعات كاشفات للشبهات .

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل .

[قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَآ أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] آية (١٠٨) يوسف /١٢

غرة شعبان ١٤١٠ هجرية

الموافق ٢٦ /٢ /١٩٩٠ ميلادية

عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني

عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى

http://kotob.has.it

صورة من الأسئلة الموجهة

أسئلة حول الحريات :

كيف يمكن التوفيق بين حرية التفكير والاعتقاد التي منحها الله للإنسان وبين منعه (مع استخدام العقوبة القصوى وهي القتل) من تغيير دينه وإن كان هذا التغيير قد نجم عن قرار شخصي نابع عن تفكير عميق ولأسباب جدية ؟

المسلمون يعتبرون من الطبيعي جداً أن يعترف النصارى بحق إخوتهم في العقيدة في اعتناق الإسلام ...ألَا يمكن للمسلمين الراغبين في دخول النصرانية من التمتع بالحق نفسه ، إقراراً للحرية التي منحها الله للإنسان ؟

هل الإسلام على استعداد ـ في البلاد الإسلامية ـ لمنح المسيحيين تلك الحريات التي يتمتع بها المسلمون في البلاد المسيحية ، بما في ذلك دخول المساجد والتعبير الحر عن

http://kotob.has.it

دينهم ودعوة الجماهير لاعتناق العقيدة المسيحية ؟

كيف يكون منطقيا التأكد بأن الله قد منح الحرية بالتساوي للرجل والمرأة ، ثم تُمنع المرأة المسلمة من اختيار الرجل الذي ترغب في الزواج منه إن لم يكن مسلماً ؟

كيف يمكننا تفسير العقوبات الجسدبة كقطع يد السارق أو الجلد أو الرجم ، وهي المبينة في بعض الآيات القرآنية ؟

* * *

http://kotob.has.it

أسئلة حول المساواة :

ما معنى الدفاع عن تفوق الإنسان الحر على العبد ، دون إدانة للعبودية أو القضاء عليها ؟

لماذا يقال بأن الله قد خلق البشر سواسية في الحقوق والواجبات ، بينما تقبل عدم المساواة لأسباب دينية ؟ كما يعلن عن تفوق المسلم على غير المسلم وإن كان الأخير من (أهل الكتاب) أو من أتباع الديانات الأخرى أو من غير المؤمنين ؟

ونجد هذه اللامساواة في الميادين الحقوقية والاجتماعية ، اعتماداً على العقائد الدينية .

ونحن بدَوْرنا نتسائل ، هل يتعارض التعايش - بالحقوق نفسها - بين المسلمين والنصارى واليهود وبقية الناس ، مؤمنين أم غير مؤمنين ، مع العقيدة الإسلامية ، وبخاصة بالنسبة لقضية تطبيق الشريعة دون تمييز على المسلمين وغير المسلمين ؟

http://kotob.has.it

ولماذا يقبل تفوق جنس على آخر ؟ ، وهو أمر نراه من خلال النقاط التالية :

١ ـ قبول تعدد الزوجات مع تحريم تعدد الأزواج.

٢ ـ إمكانية هجر الرجل لزوجته دون أن يقدم تبريرا لعمله ومن دون أن يعاني من أية نتائج لعمله هذا ، بينما لا تستطيع المرأة سوى الحصول وبصعوبة على الطلاق وعن الطريق القانوني فقط .

٣ ـ للأب حق الوصاية أو الولاية على الأبناء دائما وإن كان الأطفال في حضانة الأم .

٤ ـ بالنسبة للمواريث نجد أن نصيب المرأة ، وفي أغلب الأحيان ، هو أقل من نصف حصة الرجل .

وأخيرا ، أين نجد الترابط المنطقي لله والذي خلق البشر وأحبهم جميعا ، بينما نجد ـ كما في النصوص القرآنية ـ يحث على قتال الكفار ؟

وفي الدولة الإسلامية التي تطبق فيها الشريعة .. هل

http://kotob.has.it

التعـددية (في كافة صورها الدينية والثقـافية والاجتماعية والسيـاسية والعائلية) . هـل ستعتبر هذه التعـددية رحمـة إلهّيـة تضمن الحرية والمسـاواة ، أم أنه ستفـرض الشـريعة على الجميع بشكل ديكتاتوري ، كما نراها حاليا في كثير من الدول الاسلامية ؟

* * *

http://kotob.has.it

الإجابات على الأسئلة

وهي تشتمل على ما يلي :

١ ـ مقدمة عامة حول مفاهيم إسلامية أولى لا بد من بيانها للبناء عليها باعتبارها من القاعدة الإيمانية في الإسلام .

٢ ـ الحرية في مفهومنا الإسلامي .

٣ ـ المساواة في مفهومنا الإسلامي .

٤ ـ شعارا الحرية والمساواة صناعة يهودية .

٥ ـ تفصيل الإجابات على أسئلة المؤسسة التبشيرية العاملة تحت تنظيم "الآباء البيض" .

* * *

http://kotob.has.it

- ١ -

مقدمة عامة

الحمد لله رب العالمين ، الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يُولد ، ولم يكن له كُفواً أَحد ، ولم يتَّخذ صاحبةً ولا ولداً، ولم يكن له شريك في الملك ، ولا شريك في ربوبيته ولا في ألوهيته ، سبحانه وتعالى عن كل ذلك ، وتنزه عن الحلول والاتحاد بشيء مما خلق ، وكل ما سواه خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ .

والصلاة والسلام على محمدٍ بن عبد اللَّه خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى إخوانه نوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل وموسى وعيسى ، عباد الله وأنبيائه ورسله ، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد : فإن اللَّه عزّ وجل لم يخلق الناس في هذه الحياة الدنيا عبثاً ولا باطلاً ، ولم يخلق كونه لعباً ولهواً ، بل كلّ

http://kotob.has.it

خلقـه وأمره وتصاريفـه في كونه لحكمة ، ولا مجـال لتصوّر العبث أو الظلم أو اللهو أو اللعب في شيء من ذلك ، وهو العليم الحكيم القـدير الـذي يفعـل ما يشـاء ويختـار ، خَلقُـه فَيضٌ ، وعطاؤه فَضلٌ ، وعقابه عدلٌ .

وقـد خلـق اللّٰه النـاس على أحسن تقـويم ، وجعـل حيـاتهم الأولى في هـذه الـدنيا داخل أحداث متـداخلة متشـابكة ، وصـور مختلفـة كثيرة ، ليبلـوهم أيّهـم أحسـن عملاً ، فمـن هو دون ذلـك ، حتى أسوئهـم عملاً ، وأحطهم دركـة في أسفل سافلين ، ليجـزيهم في الحيـاة الأخرى ، بعد الموت والبعث على مقادير أعمالهم .

فهـذه الحياة الدنيا رحلة امتحان ، والممتحـن فيها إما أن يسعى إلى سعادته يوم الدين ، وإما أن يسعى إلى شقائه وتعاسته وعذاب أليم .

والـذين هـم في الامتحـان الرباني مكلّفـون ، ليسـوا أحراراً في رفـض التكليـف . إنهـم قبـل الظهـور إلى عـالم

http://kotob.has.it

الامتحـان وهم في عالم الذّر قد خُيّروا كما جاء بيـان هذا في القــرآن الكـريم في سـورة (الأحزاب /٣٣) الآية /٧٢ ومضمون هذا التخيير :

هـل يريدون أن يكـرّمون بإنسـانيتهـــم ، ويحملـوا الأمـانة وتكاليفها ، ويجتازوا رحلة الامتحـان للظفر بالنّعيم الخـالد ، فإن خالفوا أوامـر ربهم ونواهيـه الجازمة وهم في رحلـة الامتحان ، كانوا عرضة للعقاب مـن دركات العقاب المـؤقت على مقادير المعـاصي في غير الكفـر ، حتى دركـات الخلـود في عـذاب النّـار بالكفر ، ثمّ حتى أسفـل الـدركات بالنفاق .

فكـل من يجتاز رحلة الامتحان في ظروف هـذه الحياة الـدنيا بشـروطه ، فهو مكلـف أن يؤمن باللّـه إيمـانا صادقاً موافقاً للحق والواقع على ما يقضي به برهـان العقل ، وهو مـا جاء على ألسنة رسـل اللّه ، وتنزلت به كتبـه ، من كونه تبـارك وتعالى متصفـا بكل صفات الكمال ومنزَهـاً عن كل

http://kotob.has.it

صفات النقصان ، ومنها توحيده في ربوبيته ، وتوحيده في ألوهيته ، وأنه لا والد له ولا ولد ولا صاحبة ، وأن يؤمن باليوم الآخر يوم الحساب والجزاء والدينونة ، وأن يؤمن بكتب اللَّه المنزّلة التي فيها بيان الدين الذي اصطفاه اللَّه للناس ، وأن يؤمن برسل اللَّه المبلغين عن اللَّه رسالاته للناس ، وأن يؤمن بسائر النبيين الذين اصطفاهم اللَّه بوحيه ،وأن يؤمن بملائكته ، وأن يؤمن بقضاء اللَّه وقدره خيره وشره، ثم يعبد اللَّه في حياته لايشرك بعبادته أحداً، وأن تكون عبادته على وفق صراط اللَّه المستقيم المبين في آخر رسالاته للناس وآخر تنزيل من لدنه ، بلّغه آخر رسول لاحق ، حتى خاتم الأنبياء والمرسلين .

وتكون درجة المتحن المكلّف عند اللَّه بحسب قوة إيمانه ويقينه باللَّه ، وبما صحّ وثبت عنه ، وبحسب مقدار الأعمال الصالحات المرضيات للّه ، من أعمال ظاهرة ، وأعمال باطنة .

http://kotob.has.it

أمـا درجات الجنّات يوم الدين فهي متفـاضلات على مقــادير تفــاضل النـاس في الإيمــان والعمــل الصــالح .

وقـد أمر اللّه عز وجل بمستوى من الإيمـان ، وبمقدار من العمل الصالح ، تكليفاً وإلزاماً.

وأمـر بمستـويات أسمـى من الإيمان ، وبمقـادير أكثر وأحسن من الأعمال الصالحات ترغيباً وندباً.

ونهى اللّه عزّ وجل عن الكفر كلياًّ وعن الإشراك به ، نهياً من الدرجة القصوى ، فمن كفر باللّه ولـو بالإشراك به في ربوبيتـه أو ألوهيتـه ، ومات على ذلك لم يغفـر اللّـه له ، [إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُوْنَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاء].

ومـن عصـى اللّـه من دون الإشـراك به ، في أوامـره ونواهيه الإلزامية الجازمة ، استحق من عقاب اللّه بالعدل ، على مقدار معاصيه ، فجزاء كلّ سيئة بمثلها .

وعقوبة الإشراك باللّه وسائر دركات الكفـر التي هي أشد من الشرك الخلودُ الأبدي في عذاب النـار يوم الدين ،

http://kotob.has.it

وهذا من العدل، لأن الكافر لو جعله الخالق خالداً في الحياة الدنيا لبقي كافراً فاستحقّ بالعدل الخلود في العذاب.

وعقوبة المعاصي من دون الإشراك باللّه على مقاديرها كمّاً وكيفاً، ويغفر الله ما يشاء منها برحمته على وفق حكمته، وبحسب علمه بأحوال عبده.

فالإنسان في الحياة الدنيا مخلوق ممتحنٌ مكلّف، وليس مخلوقاً متروكاً لكامل حريته، يختار ما يشاء، ويفعل مايشاء، دون مسؤولية عمّا يعتقد بإرادته غير المجبورة، وعمّا يعمل من عمل ظاهرٍ أوباطنٍ، بإرادته غير المجبورة، ودون حساب ولا جزاء، بل هو ملاحقٌ بالمسؤولية والحساب والجزاء، بالثواب أو بالعقاب.

وحريته المطلقة إنما تكون فيما أباح اللّه له فقط.

وله أيضاً حريةٌ أخرى في ترك ما هو أحسن له وأفضل دون عقاب، ولكنه يحرم نفسه من الثواب العظيم والأجر الجسيم، إذا اختار أن يترك ما هو الأحسن

http://kotob.has.it

والأفضـل ، وليس من حقـه بعد ذلك أن يقـول : لِمَ لا أنال مـن النعيم والأجر العظيم مثـل ما نال أولئـك الذين فُضلوا عليّ يوم الدين ؟

فجـوابه : أولئك اختـاروا لأنفسهم في الحيـاة الدنيا ماهو الأفضل والأحْسَنُ مِمّا فيه رضوان اللّه ، وأنت لم تختر لنفسـك ذلك ، بل آثرت متـاع الحياة الدنيـا على الدرجات الحسنيات في الأخرة ، فحرمت هذا الفضل العظيم من الرب الكريم .

وبهـذا البيان نفهم أن مـا فرضه اللّـه على عبـاده من إيمان ومقدار من العمل الصالح ، وما حرمه عليهم من كفر وشركٍ به ومقدار من العمل غير الصالح ، إنمـا تكون حريّة الإنسـان فيـه حريّة الممتَحـن ما دام في ظـروف الامتحـان ، لاستكمـال اختباره ، حتى إذا انتهـت ظـروف امتحانه صار مُلاحقـاً على مـا قـدمه في امتحـانه بالمسـؤولية والحسـاب والجزاء .

http://kotob.has.it

وهذه في الحقيقة ليست حرّيّةً كاملة ، بل هـي تكليف وإلـزام ، ولكن عن طريق إرادة المكلَّف غير المكـرهة وغير الملجـأة إلجاءً ، فلا جبر لإرادات المكلفين ولا قهـر ولا قسـر ولا إلجـاء ، ولو كان الأمـر كذلك لما كـان امتحـانا أصلاً .

كـذلك نفعـل نحن في امتحـاناتنا واختبـاراتنا ، حين يختبر بعضنا بعضاً .وبعد هذا أقول :

حين يوضـع الإنسان في امتحان ما حول أمـر معين ، كامتحانٍ في علم من العلوم ، أو رياضة مـن الرياضات ، أو مسـابقة من المسابقات ، فإنه لا يُسْمَحُ له بحـال من الأحوال أن تتعدى حريته حدود مجال امتحانه .

فمثلاً : إذا كان يمتحن في مختبر الكيميـاء لتحليل مادةٍ من المواد ، فإن حريته تكون ضمن استعمـال الأدوات على وفق شروطها ، واستعمال المواد الكاشفـة ضمن ضوابطها .

فإذا دخل مختبر الكيمياء فأخذ يفسد الأدوات ويحطّم زجاجات المواد الكيميائية فإنه يعاقب مبـاشرة عقاباً صارماً

http://kotob.has.it

حاسماً أو يُطْرَدُ من المختبر كلياً ، ويُخَرج من دائرة الامتحان ، وإخراجه هذا هو نظير قتل المجرم بجريمة تستحق بحكمة الربّ الخالق إخراجه من مختبر الحياة الدنيا عن طريق تكليف أولي الأمر من أصحاب السلطة الإدارية أن يُنفّذوا فيه عقوبة القتل.

وإذا كان يُمتحن في حلبة المصارعة فإن حدود حرّيته تكون ضمن شروط متساوية مع قرينه أو قرنائه فيها ، وضمن أعمال تتعلق بالامتحان نفسه.

فإذا تعدَّاها ، فأحضر أدوات ممنوعة ، أو جعل يتعرض لحَكَم المباراة كأنّه خصم ، أو صار يقذف جماهير المشاهدين بالحجارة ، أو يرمي المصابيح الكهربائية فيحطّمها ، فإن حريتّه تمنع حينئذ ، ويُطْرَدُ من الحلبة كلها ، وطرده منها يساوي تماماً طَرْدَ إنسان من الحياة الدنيا بالقتل ، إذا ارتكب أمراً تجاوز فيه حدود حريّة امتحانه .

وهكذا إلى أمثلة كثيرة تُعتَبر من بدهيات قواعد الحق والعدل في مفاهيم كل الناس .

http://kotob.has.it

وقد خلق الله عزّ وجل الناس متفاضلين في الصفات والخصائص، وجعل مسؤولية كلّ فردٍ حين يصل إلى درجة التكليف، محدودة بحدود ما وهبه الله من صفات وخصائص، ضمن الأُطُر العامة للتكليف، فلم يخلق الناس متساوين في الذكاء والغباء، ولا متساوين في القوة والضعف، ولا متساوين في الخصائص والصفات النفسية والجسدية، ولا متساوين في الوظيفة الاجتماعية.

إن نظام الله في الخلق قائم على قاعدة التفاضل لا على قاعدة التساوي.

بعد هذا يتضح لكل ذي نظر أن التفاضل في الخصائص والصفات يلائمه مبدأ العدل، ولا يلائمه مبدأ المساواة.

إن مبدأ المساواة مع التفاضل في الخصائص والصفات والوظائف الاجتماعية ظُلمٌ وإفسادٌ في الأرض عريض.

http://kotob.has.it

وأُسائل طارحي الأسئلة ، من المؤسسة التبشيرية العاملة تحت تنظيم " الآباء البيض " قائلاً : هل المراتب الدينية في السلك الكنيسي النصراني قائمة على مبدأ المساواة ، أو على مبدأ التفاضل ، من درجة الشّماس حتى درجة البابا ؟

ويظهر أن واضعي الأسئلة التشكيكية من منظمة التبشير المذكورة قد وقعوا فريسة الخديعة اليهودية التي أطلق اليهود فيها شعاري الحرية والمساواة ، بصورة تعميمية مُضَلِّلَة ، ولم يُدركوا أغراض قادة اليهود من إطلاق هذين الشعارين ، اللّذين يُراد منهما تدمير المجتمعات البشرية ، ونُظُمِها الإدارية ، وأول ما دمَّروه بالحرية أُسس المجتمعات النصرانية ، وكثيرٌ من أركانها .

ومن العجيب أن يقوم رجال الكنيسة أنفسهم بترويج هذين الشعارين ، محققين به في شعوبهم وفي كنائسهم أهداف المكر اليهودي الرامي إلى تدمير الشعوب

http://kotob.has.it

وتفتيت وحدتها، وإطلاق الغرائز الْبَهِمِيَّة في الناس إطلاقاً فاسداً مفسداً دون حدود.

ومن العجيب أن يتعاملوا مع المسلمين، ومع تعاليم الله عزّ وجل في الإسلام، من خلال المنظار الفاسد الذي صنعه لهم أعداؤهم اليهود، منصرفين عن منظار الحق والعدل، ودين اللَّه الحقّ الذي أنزله على إبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وسائر أنبياء بني إسرائيل، وأنزله أخيراً على محمّد بن عبد الله، خاتم الأنبياء والمرسلين، عليهم أجمعين صلاة الله وسلامه.

وفي بيان لاحق مزيد تفصيل حول الحرية والمساواة، وترويج قادة اليهود الصهاينة لهما، مع تقديم بعض أقوالهم في بروتوكولاتهم.

أمّا نحن المسلمين فحريصون جدّاً على أن يكون النصارى وسائر أتباع الملل والنحل المختلفة، وسائر بني آدم إخوتنا في الإنسانية، سالكين معنا الطريق التي تُوصل

http://kotob.has.it

إلى جنّات النعيم يوم الدين ، وإلى رضوان ربّ العالمين ، والخلود الأبدي السعيد .

ولا نريد أن نحتكر الجنة لأنفسنا ، بل نريد أن يشاركنا فيها الناس أجمعون ، فقد أعدّ الله فيها لكل إنسان حظاً عظيماً جداً، إنْ هو آمن وعمل صالحاً استحقه بفضل الله ، وإلاَّ ورثه يوم الدين مستحقو الجنة زائداً على ما لكلٍّ منهم فيها .

وإنني أدعو النصارى جميعاً ، قادتهم وعامتَّهم ، وأعضاء منظمات التبشير فيهم ، ورجال السلك الكنسي ، إلى دين الإسلام بفكر مُستنير ، وعقل بصير ، وإلى النظر المتجرد المنصف في حجج الإسلام وبراهينه بدءاً بقاعدته الأولى ، ثم ما يتفرع عنها ، ويبنى عليها من أحكام وشرائع ربانيه ، وليذكروا أن الله عزّ وجل قد أبان في القران أنّهم أقرب الناس موَدَّة للذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الأنبياء والمرسلين ، فقال الله

http://kotob.has.it

عزّ وجل في سورة (المائده/٥) :

[لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَذِينَ أَمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَآ أُنْزِلَ إِلَى الْرَسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الْشَاهِدِينَ (٨٣)]

وأدعوهم أيضاً إلى إمعان النظر في البيان التالي عن شعاري الحرية والمساواة ، عسى أن يشرح الله صدر من هو مستعدٌّ منهم للإيمان بالحق ، فيطرح عن تصوراته الزيف الذي صنعه اليهود وروجوا له عن الحرية والمساواة ، ويُدرك حقيقة واقع الإنسان في رحلة امتحانه في هذه الحياة الدنيا ، فيحرص على ما فيه نجاته وسعادته يوم الدين ، يوم ينقسم الناس إلى ناجين في جنات الخلد ، وإلى معذبين خالدين في النار دار العذاب ، وإلى معذبين عذاباً مؤقتاً

http://kotob.has.it

ضمن مقادير ذنوبهم ومعاصيهم ثم يتفضّل الله عليهم فيخرجهم من دار العذاب بسبب إيمان صحيح ماتوا عليه ، ويدخلهم جنته .

وما أظن أحداً له ذرَّةٌ من فكر وعقل سليم يعّرض نفسه لخطر عذاب الله يوم الدين ، من أجل تعصّب أعمى ، أو مصلحة دنيوية زائلة فانية ، أو لإرضاء نوازغ الكبر فيه ، أو رغبات الفجور في الأرض .

* * *

http://kotob.has.it

- ٢ -

الحرية في مفهومنا الإسلامي

أنقل هنا ما كتبته في كتابي "كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة" عن الحرية :

في ظروف الاستبداد الدكتاتوري الذي كان سائداً في أوروبا قبل الثورة الفرنسية ، وإبان مصادرة حريات الطبقات الضعيفة في المجتمع ، وحريات الأفراد الذين لايملكون انتزاع حقوقهم في معظم المجتمعات الغربية ، انطلق دعاة الحرية ينادون بها مبدأً إنسانيّاً، وأخذت فئات كثيرة تُروّجها .

واستغلّت المنظمات ذات المصالح الخاصة الرامية إلى تقويض النظم الإدارية ، والمؤسّسات الدّينية ، والنُّظم الاجتماعية ومؤسّساتها ، لتكون لها السيطرة الشاملة ، شعارَ الحرّية ، فوسّعت دائرة المفهوم المقبول الصالح

http://kotob.has.it

للحرّيّة شيئاً فشيئاً ، دون أن تشعر الجماهير بمكيدة التوسيع التعميمي المنافي لمنطق العقل ، ولمبادىء الأخلاق ، ولمصالح الناس أفراداً وجماعات ، ولنظام الخَلْق وقوانين الوجود الجبرية ، فيما عدا الأعمال الإرادية للمخلوق ، وغفل عن ذلك أيضاً كثير من أهل الفكر والعلم .

وصادت الماسونية والمكر اليهودي فيها شعار الحرّية ، وجعلته أحد مبادئها، ثم قامت الثورة الفرنسيّة التي كان المكر اليهودي وراء تدبيرها والتخطيط لها ، وتحريك القوى لاندلاعها ، وتنظيم المنظّمات لتفجيرها ، والتربص لاستثمارها ، واستغلالها ، والانقضاض على غنائمها بعد قيامها ونجاحها ، فجعلت هذه الثورة الحريَّة واحداً من شعارها المثلث : "الحرية ـ المساواة ـ الإخاء"

واندفعت الجماهير مفتونة بشعار الحرية ، وهي لا ترى من معاني الحرية إلاّ مساحةً محدودة مقبولة معقولة ، يتحقق لها بها الخلاص من الظلم الاجتماعي الذي تعاني

http://kotob.has.it

منه، والخلاص من الاستبداد الضاغط عليها، والقاهر لإراداتها بقوى ظالمة آثمة، طاغية غاشمة.

ونشط شياطين الإنس بقيادة المردة من اليهود يروّجون لشعار الحرّية، ويوسّعون من مساحة دلالتها شيئاً فشيئاً، حتى تشمل كلَّ سلوكٍ فرديٍ أو جماعي يُحقّق أهداف الإفساد في الأرض، وتدمير كُلّ القيم الدينية والخلقية، وإماتة الوازع الديني والخلقي في الأفراد، وتحطيم النظم الاجتماعية الإدارية والسياسية والاقتصادية وغيرها، بغية إضعاف البشرية، وتمكين اليهود في العالم من السيطرة التامّة عليها، بعد إضعافها وتفتيتها، وبثّها بثاً متنافراً متبايناً متعادياً متصارعاً متقاتلاً.

ونجم عن إطلاق شعار الحرّية دون أن تكون محصورة في المساحة التي تكون فيها نافعة وصالحة، انطلاقُ الوحش البشري مفسداً مدمّراً، محطماً الفضائل والأخلاق، والقيم الدينية، والنُّظم الاجتماعية، ومحطماً مبادىء الحق

http://kotob.has.it

والعدل، واستغلّ هذا الوحش البشري شعار الحرية لتبرير كلّ فساد وإفساد، ولاستخدام القوة التي تعتمد عليها الثورات مع ما تُشْعِلُه من فتن، لمصادرة حياة خصومها، ومصادرة أمنهم وأموالهم وسائر حقوقهم، ولمحاربة كلّ منصف يحب الحق والعدل والفضيلة، ويطالب بسيادة هذه القيم.

وفهم المجرمون الحرّية على معنى إطلاق أيديهم في ارتكاب الجرائم على ما يشتهون، قتلاً وسلباً، وظُلْماً وعدواناً.

وفهم الفاسقون والفاسقات الحرّية على معنى أن لهم الحقّ الكامل في أن يَفسُقُوا ويفْجُروا على ما يشتهون، دون أن يكون لأحد أو جهةٍ ما حقٌ في محاسَبَتهم ومعاقبتهم، أو كفّهم عن فسقهم وإباحيتهم التي لا تَحُدّها حدود.

وفهم محتالو سلب الأموال الحريّة على معنى إطلاق أيديهم في ألوان الغش والاحتكارات، وحِيَلِ المضاربات،

http://kotob.has.it

وخُدَعِ القمار ، وأشباه ذلك ، لسلب الناس أموالهم وهم غافلون أو مُكْرهون .

وفهم العمال والصناع والأجراء الحريّة على معنى استخدام تكتلاتهم وتنظيماتهم للوصول إلى الاستيلاء على أموال أرباب العمل ، ومصانعهم ، وممتلكاتهم ، ونهبها وسلْبِها ، أو استحقاق الأجور المرتفعة دون أن يقوموا بعمل يستحقون عليه الأجور التي يطالبون بتقاضيها .

وفهمت النساء الحرية على معنى انطلاقهن من ضوابط العفة ، وتمردهن وانسياقهن بحسب أهوائهن ، وتفلّتهِنّ من كل واجب اجتماعي ، وكل ضابط خلقي .

وفهم المراهقون والمراهقات ، والفتيان والفتيات الحريّة على معنى الانفلات الأرعن ، والتمّرد على الرعاة من الأسرة ، وعلى المربين والمعلمين .

وصار كلّ ضابط للسلوك من سلطة مدنيّة أو عسكرية

http://kotob.has.it

أو قانونيّة أودينية أو أسرية عدواً للحريّة ، في مفهوم حملة شعار الحريّة الذين أطلقوها من حدودها المقبولة المعقولة ، وعمَّموها تعميماً مدمّراً للإنسانية وكرامتها ، ومُخرجاً للإنسان عن موقعه الذي وضعه الله فيه موضع الابتلاء المُستتبع بالحساب والجزاء ، وقاذفاً به إلى مستوى الأنعام أو أضل سبيلاً .

هذا هو ما كان المفسدون في الأرض قد أرادوه وخطّطوا له ، وأطلقوا من أجله شعار الحرية ، ووسعوا من مساحتها حتى عمَّموها تعميماً فاسداً مفسداً ، مصادماً للحق والخير والفضيلة والجمال والكمال .

إن الحرية مثل النار ، لا تستخدم إلا ضمن حدودٍ وضوابط ، وبحذر شديد ، ومراقبة تامَّة ، وإلاّ أكلت الأخضر واليابس ، وابتلعت كلّ شيء أَتَتْ عليه .

إن الحرية المقبولة المعقولة في واقع الناس ذات مجال محدود ، وهذا المجال المحدود لا يجوز تجاوزه ولا تَعَدِيه ،

http://kotob.has.it

لا في منطق العقل ، ولا في منطق مصلحة الإنسان في ذاته ، ولا في منطق مصلحة المجتمع البشري .

فإذا تجاوزت حدودها كانت وحشاً مفترساً ، أو ناراً هوجاء ثائرة محرقة ، أو سيلاً عرماً مدمراً ، وكانت نذير شؤم وخراب ، وفوضى واضطراب ، وصراعات بشرية تدمّر الحضارات ، وتمهد لأن تحلّ بهم سنة الله في الذين خلوا من قبلهم ، إهلاكٌ عامٌ وعذابٌ أليم .

إن الحرّية المقبولة التي يُقرّها الإسلام تقع ضمن المجالات التاليات ، وعلى وفق القيود المبينة فيها :

المجال الأول :

حرية الاعتقاد ، فالإنسان المسؤول المكلّف حُرٌّ في هذه الحياة الدنيا ، في أن يؤمن بقلبه بما يشاء ، من حقّ أو باطل ، لكنه مُلاحقٌ بالمسؤلية عند الله عزّ وجل عن اختياره الذي كان حُرّاً فيه ، وكانت حريته هي مناط ابتلائه وامتحانه في الحياة الدنيا .

http://kotob.has.it

وهي هنا حرّية الممتَحَنِ المسؤول ، وليست حرّيةً مطلقةً خاليةً من المسؤولية والجزاء .

دلّ على هذه الحرية الملاحقة بالمسؤولية والجزاء عند الله عدّة آيات قرآنية ، منها قول الله عزّ وجل في سورة (الكهف /١٨):

[وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا (٢٩)] .

ومنها قول الله عزّ وجل في سورة (البقرة /٢) :

[لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينْ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ... (٢٥٦)]

المجال الثاني :

حرية العبادة على وفق الاعتقاد ، والحرّية هنا كسابقتها هي حرية الممتَحَن المسؤول المُلاحق عند الله بالحساب والجزاء ، وليست حرّية مطلقة خالية من المسؤولية والجزاء .

دلّ على هذه الحرية الملاحقة بالمسؤولية والجزاء

http://kotob.has.it

الـــربّاني قـول اللـه عـزّ وجل في ســورة (الـــزمر /٣٩) :

[قُـلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي (١٤) فَـاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ . قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُم وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةَ أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١٥)]

وقـول اللـه عـزّ وجل في ســورة (فصلـــت /٤١) :

[إِنَّ الَّـذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لاَ يَخْفَـوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَـى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَـنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَـامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠)] .

المجال الثالث :

حُرِّية اختيار ما يريد الإنسان ويشتهـي ويهوى ، مما أباح اللـه في شـريعتـه لعبـاده مـن عمـلٍ ظـاهر أو باطـن .

وهـذه الحـرية غير ملاحقـة بالمسـؤوليـة والحسـاب والجـزاء ، ما لم ينجُـم عنها لدى استعمالهـا تَرْكُ واجبٍ أو فعـل محرّم أو عدوانٌ على حقّ الغير فرداً كـان أو جماعة ، أو ضررٌ أو إضرار .

http://kotob.has.it

وإنما كانت الحرّية في هذا المجال غير مُلاحقة بالمسؤولية والحساب والجزاء، لإن الرّبّ الخالق سبحانه وتعالى الذي له الخلق والأمر، قد منحها ذلك، فأباح لها أن تختار ما تشتهي من أصنافٍ أو أفرادٍ داخلة في دائرة المباحات التي أباحها لعباده، وأنزل فيها إذناً شرعياً ضمن دائرة ما أباح لهم أن يفعلوه أو يتركوه.

وما أباح الله عزّ وجل للإنسان من سلوك شخصي لا علاقة للمجتمع به، أو لا يمس إنساناً بضرر فلا حقّ لأحدٍ أيّاً كان بأن يحرِمَه منه، أو يمنَعَهُ عنه.

ومن الخير للمجتمع أن يترك هذا المجال مفتوحاً للناس، يُعَبِّرون فيه عن حرّيّاتهم الخاصة، ويَشْعُرونَ فيه باستقلاليَّتِهم.

المجال الرابع:

حرّية تعبير الإنسان عن أفكاره وآرائه، ما لم يكن مُضَلِّلًا بباطل واضح البطلان، أو داعياً لضُرٍّ أو شَرٍّ

http://kotob.has.it

أو أذى ، أو مشجّعاً على إدحاض الحق ونصرة الباطل ، ونشر الظلم والعدوان والفساد والإفساد في الأرض .

المجال الخامس :

كلّ ما للإنسان فيه حقٌّ مشروع واضحٌ للجميع ولا يحتاج إثباته إلى دعْوى قضائية ، فإنه يملك الحرّية في الحصول عليه بوسيلة مشروعة ، لا ضَرَر فيها ولا عدوان ولا ظلم ولا أذى ، ولا مخالفة فيها لما أمر الله به ، أو لما نهى عنه .

وأمّا ما لاحقّ للإنسان فيه فمن حقّ المجتمع ، بسلطته الإداريه أن يَحْجُرَ على حريته فيه .

أمثلة :

١ـ من حق الإنسان العملُ لكسب ما قسم اللّه له من رزق ، لاستعماله فيما أمر الله به أو أذن فيه .

فهو إذن يملك الحرية في العمل لكسب رزقه في المجالات التي لا ضرر فيها ولا عدوان ولا ظلم

http://kotob.has.it

ولا أذى ، ولا مُخَالَفَة لما أمر الله به ولما نهى عنه.

وعلى المجتمع أن يُتيح له فُرصة توجيه نشاطه وأعماله لكسب رزقه ضمن هذه المجالات وأن لا يحجر على حريّته تلك ، ومن ذلك مسعاه للحصول على عمل مأجور لدى الدولة ، أو أية مؤسسة عامة ، ومستحق العمل هو الأكثر كفاية للقيام به ، مادامت الشروط العامة متوافرة فيه .

٢ - ومن حق الإنسان ذي الباءة أن يتزَوّج ، فهو إذن يملك الحرّية في أن يسعى في اختيار زوجة يستطيع الحصول على موافقتها وموافقة ولي أمرها ، من اللواتي أذن الله في شريعته لعباده بأن يتزوج منهن .

وعلى المجتمع أن يُتيح له فرصة السعي لاختياره الزوجة التي تلائمه ضمن ما أذن الله له ولأمثاله ، وأن لا يحجر عليه حريته في هذا المجال .

٣ - ومن حق الإنسان أن يتزوّد من العلم والمعرفة بما

http://kotob.has.it

يشاء من كل نافع مفيد، أمر الله به أو أذن في تعلّمه.

فهو إذن يملك الحرّية في أن يسعى في تحصيل العلم الذي يريد ضمن حدود الإذن الربّاني.

وعلى المجتمع أن يُتِيح له فرصة السعي لتحصيل ما يشاء من علم مأذون بها شرعاً، على مقدار ما يملك من قدرات تُمكِّنه من ذلك التحصيل.

٤ - ومن الحقوق المشروعة للإنسان حقُّ مطالبته بحقوقه التي هي له، وحق الاعتراض على ظُلم لَحِقَ به، وحقُّ الشكوى ضدّ من ظلمه، وحق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل ربما يكون واجباً عليه في كثير من الأحوال، فمن حقِّه ممارسته، وحقُّ توجيه النصح لغيره محكوماً أو حاكماً، رعيةً أو سلطاناً.

الحجر على الحرية :

إذا عرفنا المجالات التي يملك فيها الإنسان الحرّية الملاحَقة بالمسؤولية والحساب والجزاء، والحرية غير

http://kotob.has.it

الملاحقة بالمسؤولية ، يتضح لنا ما يلي :

١ - لا حُرّية في ظلم أو عدوان أو هضم لحقوق الآخرين .

٢ - لا حرية في مخالفة الحق والعدل والخير ، في كل سلوك عملي ذي أثر مادي يضرّ المجتمع أو يؤذيه أو يفسد نظامه .

٣ - لا حرية لمن آمن برسالة الإسلام ، وبايع على الالتزام بأحكامه وشرائعه ، في أن يخالف أحكامه ، بترك فرائضه وارتكاب محرَّماته ، وإلاَّ كان عُرْضة للملاحقة بالمسؤولية والمحاسبة ، وبالجزاء المقرّر في أحكامه ، من قِبَل سلطة الدولة الإسلامية ، إذا كانت المخالفة لها عقوبة دنيوية مقرّرة في الإسلام .

ومما يخالف أحكام الإسلام الانتحار ، أو ارتكاب الإنسان شيئاً يضر بجسمه أو نفسه أو ملكاته الفكرية ، أو يُبدّد أمواله في المتالف بلا فائدة سفهاً وتبذيراً .

http://kotob.has.it

٤ ـ من أعلن دخوله في الإسلام ، فقد أعلن التزامه به وبأحكامه ، فلا حرّية له بعد ذلك في الردّة عنه ، وإلاَّ فهو مُلاحقٌ بعد استتابته بالمسؤولية الجزائية التي عقوبتها القتل ، ولا حرية له أيضاً في الاعتراض على أحكامه وشرائعه المقرّرة .

٥ ـ لا حرية لمسلم ولا لذميّ ولا لمستأمَنٍ ولا لمعاهَدٍ في دار الإسلام ، في الطعن بالعقائد والشرائع والأحكام الإسلامية ، المجمع عليها ، ولا حرية له في التشكيك فيها ، أو تشويهها أو تحريفها ، أو القيام بما يُسيء إلى نظام الإسلام ، أو دولته أو جماعة المسلمين ، لأن في ذلك نقضاً لما التزم به كل منهم .

ولا حرّية لأحد من هؤلاء في الدعاية لأعمال حرّمها الإسلام ، أو لأشياء حرم الإسلام تناولها كالخمور ، أو الترويج لأفكار مناقضة لحقائق الإسلام وتعاليمه .

http://kotob.has.it

ولا حرية لأحد منهم في تأسيس مؤسسات عامة أو خاصة تشتمل على أعمال أو أشسياء محرمة في الإسلام ، كبنوك ربوية ، أو بيوت للقمار ، أو بيوت للزنا والدعارة والفجور ، أو حانات لبيع الخمور وشربها ، أو مصانع لصناعتها ، ولكن يسمح للنصارى بشربها وصناعتها داخل بيوتهم ، والأماكن الخاصة بهم ، دون أن يتظاهروا بذلك أمام المسلمين .

خاتمة :

وتقع في موضوعات مختلفات مغالطات كثيرات ، بسبب كسر الحدود الفاصلة بين الحق والباطل ، والعدل والظلم ، والخير والشر ، ومن أسباب ذلك إطلاق الحرّية ، والتلاعب بمفاهيمها ، وعدم تحديد المساحات التي تكون فيها صالحة ومقبولة ، وينجم عن ذلك شرٌ مستطير ، وفساد عريض .

* * *

http://kotob.has.it

- ٣ -

المساواة في مفهومنا الإسلامي

وأنقـل هنا أيضاً ما كتبته في كتابي "كـواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة" عن المساواة.

المسـاواة من الشعارات التي دبرّهـا المكـر اليهـودي ، وجعلتها الماسونية ضمن شعارها المثلث " الحرية ـ المساواة ـ الإخاء " وقامت على أساسه الثورة الفرنسية التي دبّرها المكر اليهودي واستغلها .

والغـرض مـن هذا الشعـار تضليل النـاس وفتنتهـم لتقـوم الصـراعات بين الأفـراد ، وبين الطبقـات ، مطـالبين بتحقيـق المسـاواة المنـافية والمصـادمة لقـانون العـدل .

واندفعت الجماهير مفتونة بشعار المسـاواة ، ومخدوعة بالمساحة القليلة المقبولة منها ، ولكنّ اللعبة المضلّلة زحفت بالمسـاواة زحفـاً تعميميـاً باطلاً ، وناشـراً لفسـاد عـريض .

وقامت فتنٌ عامة تطالب بتحقيق المسـاواة ، ونجم عن ذلـك خلخلةٌ في نظام الحيـاة ، وإفسادٌ للمجتمـع البشـري .

وزحف هــذا الشعـار إلى أدمغـة مفكــرين وعلمـاء

http://kotob.has.it

وكتّاب ، فجعلوه في مقولاتهم أحد المبادىء الإنسانية الصحيحة ، وأحد المبادىء الإسلامية المجيدة ، غفلة منهم ، وانسياقاً مع بريق الشعارات التي روّجتها وسائل الإعلام الشيطانية المضلّلة .

وتحت هذا الشعار الخادع البرّاق أخذ الجاهلون يطالبون بمساواة العلماء ، والضعفاء يطالبون بمساواة الأقوياء ، والكسالى يطالبون بمساواة العاملين المجدّين ، والمنحرفون يطالبون بمساواة ذوي الاستقامة ، والنساء يطالبن بمساواة الرجال في كلّ شيء ، والفاشلون يطالبون بمساواة الناجحين ، واضطربت الحياة ، وقامت الثورات ، واستثمرها اليهود لمصالحهم .

المفهوم الإسلامي للمساواة

نظام الخلق تحكمة سُنّة التفاضل لا التساوي ، فشعار المساواة بصيغتة التعميمية يتنافى مع نظام الخلق ، وهو مطلب مناقض لمبدأ العدل ، إلا في بعض الأحوال ، وهي التي يقضي العدل فيها بالتساوي .

http://kotob.has.it

فالإسلام يُقرّر ويحمي مبدأ العدل ، ومبدأ الإحسان ، ولا يُقرّ المساواة على أساس أنها مبدأ عام وقاعدة مطّردة ، إنما يُقرّها حينما يقتضيها العدل ، أو يَتبرّع بها المحسنون أصحاب الحق .

وإنما يقتضي العدل المساواة حينما يكون واقع الأفراد واقعاً متساوياً تماماً في كل الصفات ، أو تكون المساواة في الصفات التي يوجد فيها التساوي ، دون الصفات الأخرى المتفاضلة فيما بينها .

التفاضل سُنّة الله في الخلق

إننا لا نكاد نجد في الوجود شيئين متساويين تماماً في كل صفاتهما ، ولو كانا من جنس واحد ، أو من نوع واحد ، أو من صنف واحد ، بل نجد أن صفاتهما متفاضلة ، فالدعوة إلى المساواة بينهما دعوة إلى الجور والظلم ، ودعوة إلى الأخذ بأمر باطل ، وإلى إلغاء قانون العدل .

وادّعاء المساواة مع واقع التفاضل ادّعاء كاذب ، والتسوية بين المتفاضلين عملٌ ظالم مناقض لقانون العدل ،

http://kotob.has.it

وكلّ مناقض لقانون العدل مناقضٌ لكلمات اللـه التكوينية والتشـريعية والخبرية التي تمّت صِدقاً وعدلاً، كمـا قال الله عزّ وجل في سورة (الأنعام/٦):

[وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١١٥)]

إن كلمة الله التكوينية قد حدّدت لها الإرادة الرّبانية خلقاً متفاضلاً، وهذه ظواهر الخلق شواهد:

هل الزجاج والألماس متساويان ؟

هل الذهب والحديد متساويان ؟

هل الذكي والغبيّ متساويان ؟

هل القوي والضعيف متساويان ؟

وهكـذا نجـد التفاضـل في كـل الأجنـاس والأنواع والأصناف والأفراد، نجد التفاضل في الشجر، وفي الثمر، وبين أنواع الأحيـاء، وبين كـل فـردٍ وفـردٍ آخر مـن كل نوع، وأفـراد الناس هم فيما بينهم متفـاضلون، والرجال مفضلـون بخصـائص لوظـائفهم الاجتماعيّـة على النسـاء، والنسـاء مفضّلات بخصائص أخرى لوظائفهـن الاجتماعيّة

http://kotob.has.it

على الرجال ، وبين الرجال تفاضل ، وبين النساء تفاضل .

فهل يصح عقلاً أن ندعّي التساوي بين الأجناس والأنواع والأصناف والأفراد وهي في الواقع متفاضلة ؟!

إننا بذلك نكذب على الواقع ، ونجانب الحقّ .

وهل يصحّ عقلاً أن نسوي بَيْنَها في الأحكام مع تفاضلها في الصفات ؟!

إنّنا بذلك نجانب مبدأ العدل ونصادمه ، ونقيم أحكامنا على الظلم .

وقد دلت نصوص القرآن المجيد على التفاضل في الخلق بين الأشياء ، ويتبع هذا التفاضل التخالف في الأحكام ، وعدم جواز التسوية بين المتفاضلات .

(١) ففي تفضيل الثمرات والزروع بعضها على بعض في الأكل ، قال الله عزّ وجل في سورة (الرعد/١٣):

[وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤)]

http://kotob.has.it

(٢) وفي تفضيل بعض الناس على بعض فيما يُصيبون من عطاء الله، ليبتليهم (أي: ليمتحنهم) فيه، قال الله عزّ وجل في سورة (الإسراء/١٧):

[كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً (٢٠) انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً (٢١)]

(٣) ونهى الله عزّ وجل المؤمنين عن تمنّي ما فضلّ به بعض النّاس على بعض، فخاطبهم في القرآن بقوله تعالى في سورة (النّساء /٤):

[وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً (٣٢)]

(٤) وبين الله عزّ وجل حكمته في جعل الرجال قوّامين على النساء، ومنها أنه فضّل في خصائص التكوين صنف الرجال على صنف النساء، بالصفات التي تؤهلهم للقيام بوظائف اجتماعية غير الوظائف الاجتماعية التي تقوم بها النساء، ومن هذه الوظائف القوامة في دائرة

http://kotob.has.it

الأسـرة ، فقال الله تبارك وتعالى في سورة (النّسـاء / ٤) :

[الـرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَـاءِ بِمَا فَضَّـلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْـضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ... (٣٤)]

(٥) وبيّن اللـه عزّ وجل أنه فضّل بعـض الناس على بعـض في الرزق ليبلوهم فيما آتاهم ، فقـال تعالى في سورة (النحل /١٦) :

[وَاللَّـهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ... (٧١)]

وهذا التفضيل من الأمور المشاهدة في واقـع الناس ، ولم يستطـع أَيُّ نظام اشتراكي أو شيوعي أو غيرهمـا إقامة التسوية بين الناس في الرزق .

(٦) حتى الأنبياء والرّسل قد فضّل الله بعضهم على بعـض في عطاياه وما وهب كلًا منهم ، فقال تعـالى في سورة (الإسراء /١٧) :

[وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ . وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْـــضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْـــضٍ وَآتَيْنَـــا دَاوُودَ زَبُوراً (٥٥)]

وقال تعالى في سورة (البقرة /٢) :

[تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ . مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ... (٢٥٣)]

http://kotob.has.it

(٧) وفي تكريم بني آدم وتفضيلهم على كثير ممن خلق الله، قال عزّ وجل في سورة (الإسراء/١٧):

[وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ . وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (٧٠)]

فالتفاضل سُنّة الله في الخلق بوجه عام، وهو أمر يشهد به الواقع في الوجود.

التسوية بين المتفاضلات ظلم للحق

ولمّا كان منطق العقل وبرهان الواقع يُقَرِّرَان عدم التساوي بين المتفاضلات، كانت أحكام التسوية بينها أحكاماً ظالمة.

وتأصيلاً للحق والعدل، ولئلاّ تُزيّن للناس أفكار التسوية بين المتفاضلات، أنزل الله عزّ وجل في كتابه نصوصاً ذوات عدد، تبين عدم التساوي بين طائفة من

http://kotob.has.it

المتفاضلات في حقيقة أمرها ، فمنها ما يلي :

(١) قول الله عزّ وجل في سورة (المائدة/٥):

[قُلْ لاَ يَسْتَوي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠٠)]

(٢) وقول الله عزّ وجل في سورة (الرعد/١٣):

[قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ . أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ (١٦)]

(٣) وقول الله عزّ وجل في سورة (الزّمر/٣٩):

[قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَيَعْلَمُونَ . إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَاب (٩)]

(٤) وقول الله عزّ وجل في سورة (فاطر/٣٥):

[وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّورُ (٢٠) وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلاَ الأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٢٢)]

http://kotob.has.it

(٥) ولمّا كان التفضيل التابع للعمل الأفضل من المكلّفين المختارين هو الأمر الذي يوجبه الحق والعدل ، كان من العدل أن يفضّل الله المجاهدين في سبيله بأموالهم وأنفسهم على القاعدين ، فقال الله عزّ وجل في سورة (النساء /٤) :

[لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً (٩٥) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (٩٦)]

وكان من العدل أن يُفضّل الله من أنفق من قبل فتح مكة وقاتل على من أنفق من بعد الفتح وقاتل ، فقال الله عزّ وجل في سورة (الحديد /٥٧):

[لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ

http://kotob.has.it

أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠)]

وكان من العدل أن لا يسوّي الله عزّ وجل بين المسلمين والمجرمين ، فقال الله تعالى في سورة (القلم/٦٨):

[إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٣٤) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ؟!(٣٦)]

نظرات حول واقع التساوي

أما الأمور التي هي متساوية في الواقع وحقيقة الأمر فالحق يقضي بوجوب التسوية بينها في الأحكام.

أمثلة :

١ ـ الناس متساوون في كونهم مخلوقين لله عزّ وجل ، ومتساوون في عبوديتهم له ، فهم متساوون بين يديه من هذه الجهة .

٢ ـ والناس متساوون في حق الحياة إلَّا إذا كان منهم

http://kotob.has.it

ما يقتضي إهدار دمائهم أو إنزال قيمتها بكفر أو ظلم أو عدوان .

٣ - والخصمان في مجلس القضاء لهما من رعاية القاضي حقّان متساويان فينبغي التسوية بينهما في مجلس القضاء .

٤ - والأصل تساوي الناس في حق العمل والكسب والتعلّم والسّبق لاغتنام خيرات الدّنيا والآخرة . فالعدل يقضي بإتاحة الفرص لهم جميعاً بنسبة متساوية ، ثم يكون لكل فردٍ بحسب ما يُقَدِّمُ من عمل أو جهد أو أي كسب إرادي ، أو سبق في علم أو خلق أو رأي أو إخلاص أو غير ذلك مما له قيمة تُقَدّر .

٥ - والناس متساوون في إنسانيتهم ، باعتبار الأصل إذ كلُّهم أولاد آدم وكلُّهم من تراب ، وكلُّهم مخلوقون لله عزّ وجل وهم عباده.

فالعدل يقضي بعدم تفضيل عرقٍ على عرق ،

http://kotob.has.it

أو قومٍ على قوم ، أو أَهْل لَوْن على أهـل لونٍ آخر ، أو أهـل لسان على أهـل لسانٍ آخر ، مـن أجل أعـراقهم ، أو أقوامهم ، أو ألوانهم ، أو ألسنتهـم .

٦ - وهكـذا كـلّ قضيـة يكـون الحـق فيهـا متسـاوياً بين فـريقين ، فقـاعدة العـدل توجب التسـوية بينهمـا .

وكـل تفاضل على غير أساس مـن الحق والواقع في مفـاهيم النـاس فهـو ظلم اجتمـاعـي ، كمفـاهيم التفـاضل الطبقي الذي يزعم الطبقيـون أنه يُورَث ، وكمفـاهيم التفـاضـل على أسـاس العـرق أو اللّـون أو اللّسان .

أمـا إذا كـان الـواقع متفـاضلاً فـالعدل يوجب التفضيل ، كالذكاء ، والجمال ، والقوة ، وحسن الخلق الفطـري أو المكتسـب ، وغير ذلـك ممـا لاحصـر له .

فـالإسلام يقوم في الحقوق على مبـدأ العدل ، لا على مبدأ المساواة ، وفي بيان الواقع يقـوم على ما هو الحق في واقع الحال ، لا على التسوية مطلقاً ، ولو كان الـواقع متفـاضلاً ، فلا يمكـن أن يسـاوي النـاقص الكـامل ، ولا أن يستوي الحق والباطل ، ولا العـالم

http://kotob.has.it

والجاهل ، ولا يمكن أن يتساوى الذهب والقصدير ، ولا المسك والجير ، ولا الظلمات والنور ، ولا الظِّلُّ ولا الحَرُور ، ولا الطيّب ولا الخبيث ، ولا الأحياء ولا الأموات ، ولا الذين آمنوا وعملوا الصالحات والذين كفروا وعملوا السيئات .

والعدل : هو إعطاء كلّ ذي حقٍ بمقدار حقه .

أما المساواة : فقد تقتضي إعطاء ذي الحق أكثر من حقه ، وإنقاص ذي الحق عن حقه ، وهذا جور وظلم ومخالفة لمبدأ العدل .

* * *

http://kotob.has.it

شعارا الحرية والمساواة صناعة يهودية

(١) لقد ثبت أن الحرية والمساواة من شعارات الماسونية ، وهي منظمة ذات قيادة يهودية .

وقد عرّف المستشرق الهولندي "دوزي" الماسونية بتعريف موجز ، فقال فيه : "جمهور كبير من مذاهب مختلفة يعملون لغاية واحدة ، هي إعادة الهيكل ، إذ هو رمز دولة إسرائيل"

(٢) وثبت أن الثورة الفرنسية المشهورة قد كان اليهود هم المخططين والمدبرين لها ، وكان شعارها المثلث "الحرية - المساواة - الإخاء"

(٣) وجاء في البروتوكول الأول من البروتوكولات المعروفة ببروتوكولات حكماء صهيون ما يلي :

"لقد كنا قديماً أول من هتف بكلمات (الحرية والمساواة والإخاء) وما انفكت هذه الكلمات تُردّدها ببّغاوات جاهلة ، يتجمهرون من كلّ حَدَب وصَوْبٍ حول

http://kotob.has.it

هذه الشعارات المغرية التي حطّموا عن طريقها ازدهار العالم وحرية الفرد الشخصية الحقيقية التّي كانت من قبل في حمئ يحفظها من أن يخنقها السفلة .

ولم يفهم الذين يدّعون الذكاء وسعة الإدراك من غير اليهود "الجويم " المعاني الرمزية التي تهدف إليها هذه الكلمات ، ولم يتبّينوا عواقبها ، ولم يلاحظوا ما فيها من تناقض في المعنى ، كما لم يدركوا أن الطبيعة نفسها تخلو من المساواة ، وأن الطبيعة قد أوجدت أنماطاً غير متساوية في العقل والشخصية والأخلاق والطاقه وغيرها .

إن صيحتنا (الحرية والمساواه والإخاء) قد جلبت إلى صفوفنا فرقاً كاملةً من زوايا العالم الأربع عن طريق وكلائنا المغفلين ، وقد حملت هذه الفرق ألويتنا في نشوة ، بينما كانت هذه الكلمات مثل كثير من الديدان تلتهم سعادة الجويم (غير اليهود) وتحطم سلامهم واستقرارهم ووحدتهم ، مدمّرة بذلك أسس الدول ، وقد جلب هذا العمل النصر لنا ".

* * *

http://kotob.has.it

- ٥ -

أجوبة الأسئلة

التي وجهها المبشرون من تنظيم "الآباء البيض"

بعد الذي سبق في المقدّمات العامة أجيب باختصار وإيجاز على الأسئلة التي وجّهها جماعة المبشرين من تنظيم "الآباء البيض" على أنّ من أمعن في المقدمات العامة، وكان منصفاً فاهماً، لم يجد شبهة تحتاج إلى ما يزيلها أو يدفعها، إذ الأسئلة تدور حول التسليم بمبدأي الحرية والمساواة، على أنهما من المبادىء الكلية العامة، وقد سبق بيان ما في هذين المبدأين من باطل ومغالطات، ومعلوم في أصول الفكر المتفق عليها لدى ذوي العقول جميعاً أن ما بُنيَ على فاسد فهو فاسد، وما بني على باطل فهو باطل، وما بني على غير أساس فهو منهار.

ولست في أجوبتي بحاجة إلى أن أقف موقف المدافع عن الإسلام وأحكامه، فالإسلام حقٌّ، وهو من عند اللّه

http://kotob.has.it

ربّ العالمين ، ولكنّني أقف موقف الناصح الذي يعرض الحق ويبينه لأولي الألباب ، ولأولي الأفكار المنصفة ، فمن شأن الحق أنه إذا جاء بنوره الساطع زهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً .

وإنّني أقدّم الأجوبة من منظار الحق ، ليكون بياني حجّة عند الله يوم الدّين على واضعي الأسئلة ، والمتأثرين بهم ، وحجّةً لناشدي الحق وطالبيه ، الذين قد تؤثر في أفكارهم ونفوسهم التشكيكات والشّبهات والمغالطات ، وحجّة ينتفع منها أنصار الإسلام ، والدعاة إليه ، والمدافعون عن شرائعه وأحكامه .

* * *

http://kotob.has.it

أولاً : أسئلتهم حول الحرية وأجوبتها

السؤال الأول

" كيف يمكن التوفيق بين حرية التفكير والاعتقاد التي منحها الله للإنسان ، وبين منعه (مع استخدام العقوبة القصوى وهي القتل) من تغيير دينه ، وإن كان هذا التغيير قد نجم عن قرار شخصي نابع عن تفكير عميق ، ولأسباب جدّية ؟ "

الجواب

إضافة إلى ما سبق بيانه حول " الحرية في مفهومنا الإسلامي " أقول :

إن الإنسان البالغ العاقل له الحرّية التامة قبل أن يدخل في الإسلام في أن يُسلم أو لا يسلم ، فلا تُكْرَهُ إرادته ، إذ لا إكراه في الدين .

لكنه مُستَتبَع بالمسؤولية عند الله عزّ وجل عن اختياره ، فإن اختار الكفر بما جاء به الإسلام من عقيدة

http://kotob.has.it

وشريعة وأحكام ، فالنّار مثواه يوم الدين خالداً مخلداً فيها أبداً .

ولا يُكرَه إنسان على الدخول في الإسلام بحال من الأحوال .

ومن أراد أن ينتمي إلى الإسلام فعليه أن يعرف قبل انتمائه أنه سيُكلَّف تكاليف إذا خالفها فقد يعرض نفسه للعقاب ، حتى درجة العقوبة القصوى وهي القتل .

وهذا كمن يريد أن يطلب جنسية دولة من الدول ، فإن عليه أن يعلم أنه مسؤول عن الالتزام التام بقوانين هذه الدولة وأنظمتها قبل أن يتم العقد معه على منحه جنسيتها ، ومن هذه الأنظمه معاقبته بعقوباتها إذا فعل ما يقضي عقابه ، ولو كانت العقوبة القصوى .

فطلبُ الجنسية من قِبَل الفرد ، ومَنْحُها له من قبل الدولة ، عقدٌ بين طرفين يشتمل على منافع وتبعات ، ومن تبعات اكتساب الجنسية تطبيق أنظمتها ، ودفع الضرائب

http://kotob.has.it

كسائر نظرائه ، والجندية الإجبارية عند وجودها ، وقبول قانون العقوبات التي لديها ، حتى مايجدّ من قوانينها في المستقبل ، وإذا خان الدولة خيانة عظمى ، فتعامل مع أعدائها حكم عليه بالعقوبة القصوى .

ومن الأمور التي يُبَايعُ عليها من يرغب أن يدخل في الإسلام أنه إذا ارتدَّ عنه عرّض نفسه للقتل.

إذن فليفكّر بأناة وبكامل حرّيته قبل أن يسلم وينخرط في جماعة المسلمين، ويلتحق بالدولة الإسلامية ، فمن وافق وهو بكامل حريته وعقله وإدراكه على أن ينتمي إلى الإسلام ، فقد التزم وهو حرّ حريّة تامّة أن يكون معاقباً بالقتل إذا ارتدَّ عنه . فلا تعارض إذن بوجه من الوجوه بين حرّية التفكير والاعتقاد وبين هذا ، والسؤال مطروح بجهل ، أو بمغالطة للتلبيس وخلط المفاهيم.

فالعقاب على الردّة ليس هو في الحقيقة إكراهاً على

http://kotob.has.it

الـدين ، ولكنّه حمايةٌ للأمّه الإسلامية مـن المتلاعبين ذوي الحيـل الـذين يدخلـون في الإسلام بحـرية ويخـرجون منـه بحـرّية ، وهـم أعـداءٌ للإسلام والمسلمين يمكـرون بهمـا ، ويكيـدونهما ، ويتخـذون الـوسائل المختلفـة للتلاعـب بالإسلام ، وتمـزيق وحدة المسلمين وإضعـافهم ،والتسلّـط عليهم ، والاستيلاء على ثرواتهم وخيراتهـم ، وحربهم من داخل صفوفهم ، متذرعين بشعار الحرّية.

ومـن ادّعى أنه كان يجهل عند دخوله في الإسلام أن عقابه القتل إذا ارتدّ عنه ، فإننا نقول له: من المعروف المقرر عنـد كل القانونيّين أن الجهل بالقانون العـامّ لا يعفي الفرد من المسؤولية إذا هو خالف أحكامه.

* * *

http://kotob.has.it

السؤال الثاني

" المسلمـون يعتبرون مـن الطبيعـي جدّاً أن يعترف النصـارى بحقّ إخوتهم في العقيده في اعتناق الإسلام ... أَلَا يمكـن للمسلمين الراغبين في دخول النصـرانيه مـن التمتّع بالحـقّ نفسه ، إقراراً للحـريّة التي منحها اللّـه للإنسان ؟ " .

الجواب

جاء في جواب السـؤال الأول ما يتعلّـق بالـردّة عن الإسلام فلا داعي لإعادته هنا .

وأقول هنا : إن ما ورد في السؤال ليس هو ما يناظر به المسلمـون النصـارى ، فهـم لا يقـولـون : إن مـن حق النصراني أن يعتنق الإسلام وينضم إلى المسلين ، باعتبارهم حزباً ، أو جماعة من الناس .

ولكـن الـدُّعاة المسلمين يقـولون لكل إنسـان : إنّنـا نبلّغـك أنك مخلـوق للّـه ربّ العـالمين ، ربّ السمـاوات والأرض ، وأن من الواجب عليك أن تؤمـن به ربّاً واحداً لا شـريك لـه ، وتعبده وحده ، ولا تشـرك بعبـادته أحداً ،

http://kotob.has.it

وتؤمن بكل ما جاء من عند الله ، وبكل رُسل الله وأنبيائه، دون تفريق ، وأن يكون إيمانك على وفق الحقّ الذي جاء من عند الله والذي لم يَتَعَرَّض لتحريف أو تبديل أو تغيير ، وأن من الواجب عليك أن تعمل بمقتضى آخر دين مُنزَّل من عند الله ، مُؤَّيد بالحجج والبراهين ، ومقترن بالمعجزة التي تثبت صدق الرسول الذي بلّغه عن ربه ، فإن لم تؤمن ورفضت هذا الدين الخاتم عَرَّضْتَ نفسك لعذاب الله في نار جهنم يوم الدين خالداً مخلداً فيها أبداً ، ولا ينفعُك يومئذٍ حزب ولا جماعة ، ولا تنفعُك شفاعة من أحد ، ونحن لك مبلّغون وناصحون لا نكرهك ولا نجبرك ، فإن منعك قومك مُكْرِهين فباستطاعتك أن تؤمن مستخفياً ، حتى إذا سنحت لك الفرصة أعلنت إيمانك ، والتحقت بجماعة المسلمين ، وضممت قوتك إلى قوتهم.

ولسنا نقول للنصارى : إن من حقه أن لا تمنعوه ولا تُكْرِهوه على البقاء في النصرانية بمقتضى مبدأ الحرية .

ولكن نقول لهم : أنتم جميعاً يجب عليكم أن تؤمنوا بدين اللّه الحق ، وبجميع أنبياء الله ورسله ، فإن أبيتم

http://kotob.has.it

عرّضتم أنفسكم ، وأهليكم ، وأتباعكم ، لعقاب الله الشديد يوم الدين .

نقول لهم جميعاً : نحن مستعدّون أن نُقدّم لكم الحجج والبراهين العقلية والعلمية لإقناعكم إن شئتم . ولكم أن تقولوا ما تشاؤون حول أصول دينكم ومبادئكم، ونحن مستعدون لمناظرتكم حولها ، على مستوى أرضيّةٍ فكرية عقلية علميّة مشتركة بيننا وبينكم ، فمن لزمته الحجة وقام عليه البرهان الحقُّ منا فعليه أن يعلن اعترافه به ، ونقول لكم كما علّمنا القرآن المجيد في سورة (سبأ / ٣٤): [وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤)]

فالسؤال الثاني كما ورد في أسئلة تنظيم " الآباء البيض " لا يكون على الطريقة التي ساقوها ، إلاّ إذا اعتبر موجهو السؤال أن الدين قضية جماعات بشرية ذات انتماءات إنسانية ، لا قضية ربانية يُطَالَبُ الناس جميعاً بها ، فطرح السؤال طرح قائم على فكرة خاطئه غير صحيحة أصلًا ، فنحن لا نقول للنصارى : إن من حق النصراني عليكم ألا تعترضوا حريّته في اختيار تغيير دينه .

http://kotob.has.it

إن قضية الدين ليست قضّية مساومات سياسيّه أو اقتصاية حتى يكون التعامل فيها بالمثل .

إن الدينّ حقّ الله على عباده جميعاً ، وليس حقَّ المسلمين حتى يتنازلوا عن شيء منه ، فإن كان النصارى يعتقدون أن النصرانية حق النصارى وأن لهم أن يساوموا عليه فهذا شأنهم ، وهو يختلف تماما عن الفكر الإسلامي ، والعقيدة الإسلامية الربانية .

* * *

http://kotob.has.it

السؤال الثالث

"هـل الإسلام على استعـداد ـ في البلاد الإسلاميـة ـ لمنـح المسيحيين تلك الحـرّيات التي يتمتّع بهـا المسلمـون في البلاد المسيحية ، بما في ذلك دخول المساجد ، والتعبير الحـر عن دينهم، ودعوتهم الجماهير لاعتناق العقيدة المسيحية ؟".

الجواب

المسلمون مستعدون لعقد مناظرات عامّة حول قضايا العقـائد الإسلاميـة والعقـائد النصـرانية ، وسـائر العقـائد والمبـادىء المنتشرة في مختلف شعوب الأرض ، سـواء أكان ذلك في بلدان الشعوب غير المسلمة ، أو في بلـدان الشعوب المسلمـة ، فمن شاء أن ينـاظر مناظرةً حرّةً مفتـوحة ضمـن أصـول وقواعد المناظرات المنطقيـة فمرحبـاً به ، ولدينا في بلــدان المسلمين قـاعات وصـالات عـامّــة كبرى تصلـح للمنـاظرة، وفي كـل بلـدان شعـوب الأرض مثـل ذلـك .

ولا نكـون ضيّقـي الأفـق ولا مُحرجين ولا مُتَعَنِّتِين في أن تكون هذه المناظرات في معابدهم الخاصة ، ولا في المدن

http://kotob.has.it

الـدينية الخـاصة بهـم ، كـالفاتيكان مثلاً ، بل نرضـى أن تكـون في أي مكـان جامـع يصلـح لعقد منـاظرات عـامة ، نعـرض فيهـا مبـادئنا ، ويعـرض فيهـا الآخرون مبـادئهم .

مع بيان أنّنا لا ندخل عليهم كنائسهم ولا معـابدهم ، ولا نُخْـرِجهم بذلك ، يُضاف إلى ذلك أننا لا نجـدهم في واقع الأمـر يسمحـون بأن نكـون دعاةً للإسلام في كنـائسهم أو مجامعهم العامة دعوةً علنية .

ففـي السـؤال مغالطة إيهـاميّة لا تستنـد إلى واقـع ، وهي محاولة لستر أعمال المبشرين النشيطة داخل بلاد العالم الإسلامـي ، إذ للمبشـرين النصارى في البلـدان الإسلامية آلاف البعثـات والإرسـاليات والمنظمـات والمـؤسسات التعليميـة والطبيـة وغيرهـا ذات المهمات التبشيرية ، وقـد انتشـرت في بلـدان المسلمين بتسـامح السلطـات الإدارية ، وبتـأثير الدول الاستعمـارية النصرانية ، وليـس للمسلمين بمقـابل ذلـك في بلدان الشعـوب المسيحيـة دعـاة يبشـرون بالإسلام إلا العـدد القليل جدّاً ، وبعض المـراكز الإسلامية التي توجّه نشـاطها للاقليـات المسلمـة في هـذه البلـدان .

http://kotob.has.it

والمعاملة بالمثل التي يُطالب بها السؤال تستدعي أن يكون للمسلمين في البلدان المسيحية مثل ما للمبشرين النصارى في بلدان المسلمين من مؤسسات تبشيرية، مختلفة الأسماء، ومختلفة التخصُّصات، ومن بعثات تبشيرية تتخذ مختلف الوسائل الإغرائية غير الشريفة لتنصير المسلمين، ومنها استغلال الأزمات والجوائح والمجاعات، واستغلال الأموال التي تُوجَّه للمساعدات الإنسانية العامة، وتوجيهها لمهمّات التنصير، ومن هذه الأموال ما تبذله شعوب الأمة الإسلامية للمساعدات الإنسانية.

* * *

http://kotob.has.it

السؤال الرابع

" كيف يكون منطقياً التأكيد بأن الله قد منح الحرّية بالتساوي للرجل والمرأة ثم تمنع المرأة المسلمة من اختيار الرجل الذي ترغب في الزواج منه إن لم يكن مسلماً ؟ "

الجواب

سبق في المقدّمات العامة بيان أن الإسلام لم يجعل الحرية المطلقة مبدأ من مبادئه ، فالحرية المطلقة منافية لحكمة خلق الناس ممتَحنين بأوامر الله ونواهيه في هذه الحياة الدنيا .

وأضيف هنا أن التشكيك في حكمة الله بما يشرع لعباده وبما يوجب عليهم من واجبات ، وما يحرّم عليهم من محرمات ، وما يبيح لهم من مباحات ، هو مذهب إبليس حين رفض السجود لآدم ، زاعماً أن عنصره الناري أفضل من عنصر آدم الطّيني ، مع أن منطق العقل يرفض العنصرية أصلاً ، ويحكم على الكائن بما هو عليه ، لا بما كان قبل ذلك

http://kotob.has.it

في عنصره وأصله ، وقد كان ما انتهى إليه تكوين آدم أن كرّمه الله بالعلم ، وبأدوات المعرفة ، فَأَمَرَ اللَّهُ مَنْ تَسَاءَلَ عن الحكمة من خلقه بأن يسجدوا له ، وهم ملائكة ، بعد أن أظهر الله لهم أن هذا الإنسان مستعد أن يكون أعلم منهم .

ونظير النزعة العنصرية الفاسدة التي اعتمد عليها إبليس ، التسوية بين المتفاضلين في الخصائص والصفات وما ينجم عنها من نتائج وآثار .

فادعاء المساواة بين صنفين مختلفين في الخصائص الجسدية والنفسية ، ومختلفين في الوظائف الاجتماعية ، يتضمن قضية فاسدة تناقض مبدأ الحق والعدل .

إن من المعلوم في المشاهدة والتجربة ، وفي المقرّرات العلمية حتى أحدث ما ظهر منها أن المرأة ذات خصائص جسدية ونفسية مختلفة عن خصائص الرجل.

فخصائص المرأة تؤهلها لوظائف اجتماعية أهمها

http://kotob.has.it

الأمـومة ، ثم حاجتها إلى رجل يكون هـو صاحب القوامة عليها وعلى سائر أعضاء أسرته .

وصـاحب القوامة الـذي هو الرجل في أسـرته ، قـد يستخـدم سلطـة قوامتـه في حمـل زوجته على ترك دينهـا .

مـن أجل ذلـك فـإنّ الّلـه عـزّ وجل لم يُبـح للمـرأة المسلمـة أن تتزوج زوجاً غير مسلم ، حمـايةً لهـا مـن ضغط الزوج ، وتأثيره عليها بإخراجها عن إسلامهـا ، وتعريضها لعذاب الله الأبدي .

وفي المقـــابل فـــإنّنا لا نعترض على غير المسلمين إذا منعـوا نساءهم من أن يتزوجن بالمسلمين ، بل هـذا يسرنا ، وبودّنا أن يُصدِروا قررات تحريميَّة تمنع نسـاءهم من الزواج برجال مسلمين ، فهذا أحفظ لرجالنا ، وأبعـد عن الفتنة في الدين .

لكـن مـاذا نفعـل إذا أباح غير المسلمين لنسـائهم أن يتزوجن برجال مسلمين ؟

http://kotob.has.it

إننا ـ على كراهية وعدم رغبة ـ نوافق على زواج الرجل المسلم بامرأة من أهل الكتاب، بشرط أن يكون الزواج بينهما على وفق نظام الإسلام في أحكام الأحوال الشخصية، وأن تكون الولاية والقوامة للرّجل، وأن يكون الأولاد (ذكوراً وإناثاً) تابعين لآبائهم في الدّين، وأن يكون الميراث وفق أحكام الإسلام، فإذا اختّلتْ هذه الشروط أو اختلَّ بعضها فإن الإسلام لا يُبيح للرجل المسلم أن يتزوج بأمرأة غير مسلمة ولو كانت كتابيّة.

وتعاليم الإسلام تُرشِد إلى اختيار المرأة المسلمة التقية النقية ذات الدِّين والخُلق القويم عند الرغبة في الزواج.

* * *

http://kotob.has.it

السؤال الخامس

" كيف يمكننا تفسير العقوبات الجسدية كقطع يد السارق أو الجلد أو الرجم وهي المبينة في بعض الآيات القرآنية ؟ ! "

الجواب

إجابتي على هذا السؤال تنطلق من منطلقات خمسة :

أولاً : الدين شريعةٌ وأحكامٌ ربانية ، وحق الله على عباده أن يدينوا له وحده ، فيستمسكوا بشريعته ويعملوا بأحكامه .

وليس دين الله للناس من أوضاع الناس ، حتى يجري التفاوض عليها معهم . والتشكيك في شريعة الله وأحكامه لعباده تشكيكٌ في حكمته ، ورفض لحقّه جلّ وعلا في تنظيم أمور عباده بما يعلم أنه هو الأصلح والأنفع لهم .

وقد ثبت لدينا بالدليل القاطع أن الإسلام الذي بلّغه رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم حقٌّ منزّل من عند الله

http://kotob.has.it

لاريب فيه ، ومعجزة القرآن شاهد قائم دائم يشهد بأنه تنزيل من عند الله .

ثانيا : العقوبات الجسدية موجودة في الرسالات الربانية المنزّلة على المرسلين الصادقين المبعوثين من عند الله، ومنهم رسل بني إسرائيل ، ومن هذه العقوبات عقوبة الرجم .

وأصحاب السؤال الذين يقولون : إنهم نصارى يؤمنون بأسفار العهد القديم ، وبما جاء فيها ، ويجعلونها ضمن كتابهم المقدس الجامع لأسفار العهد القديم ، وأسفار العهد الجديد .

ألم يقرؤوا سفر اللاّويين ؟ ألم يدرسوا ما فيه ؟ ألم يبين لهم رجال الكنيسة ما في كتب أهل الكتاب من عقوبات جسدية ؟

إذا كانوا على علم بها ، فنقول لهم على طريقة سؤالهم: كيف يفسرونها ؟

http://kotob.has.it

وإذا كـانوا يجهلونهـا ، فنقول لهم : تعلمـوا دينكـم أولا ، وادرسـوا كتبكـم ، ثم تعـالوا إلى المنـاظرة وطـرح الأسئلـة التشكيكيّة إن شئتم ولاتطـرحوا أسئلـة مِنْ وِجهة نظر العلمانيين ، أو الملحدين الذين لايؤمنـون باللّه ورسله وكتبه .

إقـرؤوا هذا النص من الإصحاح العشـرين من سفر اللاّويين :

" ٩ـ كـل إنسان سبّ أباه أو أُمَّـه فإنّه يُقتـل . قد سب أباه أو أمه . دمه عليه .

١٠ـ وإذا زنى رجل مع امرأة فإذا زنى مع امـرأة قريبة فإنّه يُقتل الزاني والزانية .

١١ـ وإذا اضطجـع رجلٌ مـع امرأة أبيـه فقد كشف عورة أبيه . إنهما يُقْتَلان كلاهما . دمهما عليهما .

١٢ـ وإذا اضطجع رجلٌ مع كنّته فإنهما يقتلان كلاهمـا . قد فعلا فاحشة . دمهما عليهما .

http://kotob.has.it

١٣ـ وإذا اضطجع رجلٌ مع ذكر اضطجاع امرأة فقد فعلا كلاهما رجسا . إنهما يقتلان . دمهما عليهما .

١٤ـ وإذا اتخذ رجلٌ امرأة وأمّها فذلك رذيلة . بالنار يحرقونه وإياهما لكي لايكون رذيلة بينكم .

١٥ـ وإذا جعل رجلٌ مضجعه مع بهيمة . فإنه يقتل . والبهيمة تميتونها.

١٦ـ وإذا اقتربت امرأة إلى بهيمة لِنزائها تُميتُ المرأة والبهيمة. إنهما يقتلان . دمهما عليهما . "

وجاء فيه أيضا :

" ١ـ وكلّم الربّ موسى قائلا : وتقول لبني إسرائيل : كل إنسان من بني إسرائيل ومن الغرباء النازلين في إسرائيل أعطى من زرعه لِمُولَك فإنه يُقتل . يرجمه شعب الأرض بالحجارة "

مُولَك : اسم مَلك . وهو اسم ملك جهنم حسب رأي الكنعانيين الوثنيين (عن : قاموس الكتاب المقدس)

http://kotob.has.it

وجاء فيه أيضا :

"٢٧ ـ وإذا كان في رجل أو امرأة جانٌّ أو تابعة فإنَّه يقتل بالحجارة يرجمونه . دَمُه عليه"

واقرؤوا هذا النص من سفر التثنية (الإصحاح العشرين) وفسروه لنا بحسب منطقكم الإنساني:

"١٠ ـ حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح .

١١ ـ فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويُستعبد لك.

١٢ ـ و إن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها.

١٣ ـ وإذا دفعها الرّب إلهُك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحدّ السيف .

١٤ ـ وأما النساء والأطفال والبهائم وكلُّ مافي المدينة كلّ غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاها الرّب إلهك .

http://kotob.has.it

١٥ - هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدّاً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا .

١٦ - وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الربّ إلهك نصيباً فلا تَسْتَبْقِ منها نسمةً ما .

١٧ - بل تحرّمها تحريما . الحثّيين . والأموريّين . والكنعانين والفِرِزِّيّين . والحِوّيّين . واليَبُوسِيّين . كما أمرك الرب إلهك .

١٨ - لكي لا يُعَلِّموكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا حسب جميع أرجاسهم الّتي عملوا لآلهتهم فتُخطؤا إلى الرّب إلهكم"

بعد هذا أقول لأصحاب السؤال :

كيف يفسرون ما في كتب العهد القديم التي يؤمنون بها من عقوبات جسدية ، قبل أن يسألوا عن تفسير العقوبات الجسدية الموجودة في الإسلام ؟

ثالثاً : لقد تراجعت شعوب الأرض ، ودول العالم المتحضر عن أفكار إلغاء العقوبات الجسدية ، ولجأت في

http://kotob.has.it

الآونة الأخيرة إلى إصدار قوانين بالعقوبات الجسدية حتى مستوى العقوبة القصوى ، كالجرائم المتعلقة بنشر المخدرات وترويجها .

مع إقرارهم جميعاً استباحة ماتصنعه الحروب ذات الأهداف المدفوعة بالأنانيات غير النبيلة ولا الشريفة ، من قتل وصور بشعة جدّاً ، تحرم من يصاب بها من بعض أعضائه وحواسه ، وتعطلّه في الحياة ، وتجعله مع المعوقين ، مع ما تجلبه له من آلام جسيمة .

رابعاً : على طارحي السؤال أن يراجعوا تاريخ النصارى المملوء بمآسي القتل والاضطهاد الشنيع بكل أنواع التعذيب والإذلال ، والتي منها قطع الأيدي والأرجل والأنوف والآذان ، ومنها سمل العيون وإطفاء نورها بالحديد المحْمِي ، وغير ذلك ، لإكراه غير النصارى لا سيما المسلمون على ترك دينهم ، والدخول في النصرانية .

وقد كان بين طوائفهم مثل ذلك أيضاً ، بسبب الخلافات الدينية .

http://kotob.has.it

ألا يذكرون ماصنعت محاكم التفتيش في اسبانيا؟

ألا يذكرون ما صنع رجال الكنيسة من حبس الألوف في أقبية مغلقة ، وجمعهم فيها كجمع سمك السردين في العلب ، وتركهم فيها حتى يموتوا وقوفاً متراصين ، يختنقين جياعاً ظماءً؟ .

ألا يذكرون القسوة الشديدة التي عاملوا بها المسلمين في المستعمرات التي استعمرتها بعض الدول المسيحية لبعض بلدان المسلمين في الشرق الأقصى ، واعترف بها بعض قادة المبشرين ، وقد بارك رجال الكنيسة هذه الأعمال .

خامساً : لقد جرّب المسلمون عبر تاريخهم العقوبات الجسدية التي أمر الله بها ، كالقطع والجلد والرجم ، فكان من منافعها العظيمة حماية المجتمعات الإسلامية من جرائم قتل شنيع فما دونه تعادل آلاف أضعاف ما تّم تنفيذه من عقوبات جسدية ، بمعنى أن يداً واحدة قطعت لِسَارِق قد

http://kotob.has.it

حمت آلافاً من الناس بريئين سويّين غير مجرمين ، كان من الممكن لولا هذه العقوبة الصارمة الحاسمة أن يتعرضوا للقتل وقطع الأيدي والأرجل وبقر البطون وإحداث عاهات مستديمات فيهم ، بأيدي مجرمين عدوانيين ، مع ما يسلبون وينهبون من أموال ، ويهتكون من أعراض .

ويحسن بطارحي السؤال أن يراجعوا إحصائيات دول عالم اليوم التي لا تعاقب السارقين بقطع الأيدي ، وما فيها من أرقام جرائم خيالية فيها قتل بأشع الصور فما دون القتل من أعمال عدوانية إجرامية ، من أجل الحصول على المال الحرام بالسرقة أو السلب والنهب والقهر بالقوة .

كذلك نقول : إن رجم عدد لا يتجاوز عدد أصابع اليدين لزناة متزوجين محصنين ، ثبت على الزاني منهم الزنى بشهادة أربعة شهود عدول شاهدوا بأعينهم فعلته ، أو قدموا أنفسهم للتطهير باعتراف منهم لم يكرهوا عليه ، ولم يستدرجوا إليه ، بأية وسيلة من وسائل الاستدراج ، قد

http://kotob.has.it

حمى المجتمع الإسلامي قروناً متعددة من انتشار فاحشة الزنى في الأسر المحصنة ، وحماه مما تجر هذه الفاحشة من فساد في المجتمع ، واختلاط في الأنساب ، ومآس في الأسر ، ثم مّما تجلبه من أمراض وبائية قد أحدثت طوفانا وبائيّاً في الشعوب التي تهاونت بهذا الأمر ، وجعلت ممارسته من مظاهر الحرية الشخصية .

وأقول لإصحاب السؤال الذين يقولون : إنهم نصارى : هل أباحت شريعة من الشرائع الربانية الزنى المنتشر في عالم اليوم في الشعوب النصرانية بشكل معتاد غير منتقد ، باعتباره ظاهرةً من ظواهر الحرّيّات الشخصية ، وقد سبب في شعوب الأرض مآسي تُدَوَّن بها بحوث ورسائل بل كُتُب كبيرة ؟!

إن أصل الحكم الرّباني في شريعتهم هو الرجم ، وقد كانوا يفعلونه في عصورهم الأولى ، ثم دخل عليهم التحريف في الدين ، والتهاون بتطبيق أحكامه فليراجعوا

http://kotob.has.it

تاريخهم ، أو فليقرؤوه إن كانوا جاهلين .

أفيعترضـون على حكـم هو من أحكام الإسلام وهـو من أصول شريعتهم ، وأحكام دينهم ، ومنصـوص عليه في الكتب التي يؤمنون بها ، كما سبق بيان ماجاء في الإصحاح العشرين من سفر اللاّويين ؟!

إذا تحـولوا علمانيين فلينصـروا العلمـانية صراحة ، وليخلعوا قناع مناصرة الديانة النصرانية .

وإذا كـانوا ينصـرون مـا هـو قـائم في الشعـوب النصرانية مما هو مخالف لأصول دينهم ، فليـدعوا الأديان كلهـا جانباً ، وليتحدثوا عن واقع بشري بحـت لا عن أديان ربانية منزلة من عند الله ربّ العالمين .

وأذكـرهم بمـا جاء في الإصحـاح الثـامن مـن إنجيل يوحنا .

"(١) أمـا يسوع فمضـى إلى جبل الـزيتون (٢) ثم حضـر إلى الهيكـل في الصبـح وجاء إليـه جميـع الشعـب

http://kotob.has.it

فجلس يعلمهم (٣) وقدم إليه الكتبه والفرّيسيُّون امرأة أُمسكت في زنى . ولما أقاموها في الوسط (٤) قالوا له : يا مُعَلِّمّ هذه المرأة أمسكت وهي تزني في ذات الفعل (٥) وموسى في الناموس أوصانا أن مثل هذه ترجم فماذا تقول أنت ؟ (٦) قالوا هذا ليجرّبوه لكي يكون لهم ما يشتكون به عليه . وأما يسوع فانحنى إلى أسفل وكان يكتب بإصبعه على الأرض (٧) ولما استمروا يسألونه انتصب وقال لهم : من كان منكم بلا خَطِيَّة فَلْيَرْمِهَا أولاً بحجر (٨) ثم انحنى أيضا إلى أسفل وكان يكتب على الأرض (٩) وأمّا هم فَلَمَّا سَمِعُوا وكانَتْ ضمائرهم تُبَكِّتُهُم خرجوا واحدا فواحدا مبتدئين من الشيوخ إلى الآخرين . "

* * *

http://kotob.has.it

ثانياً : أسئلتهم حول المساواة وأجوبتها

السؤال الأول :

"ما معنى الدفاع عن تفوق الإنسان الحُـر على العبد ، دون إدانةٍ للعبوديّة والقضاء عليها ؟ "

الجواب

إن المفاهيم الإسلامية التي يدّل عليها كتاب الله القرآن ، وتدّل عليها أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله ووصاياه تُقّرر أن الحرّ ليس له ـ بسبب كونه حرّاً ـ تفوق عند الله ، وكذلك في المجتمع الإسلامي المطبّق لأحكام الإسلام ، على العبد – بسبب كونه عبداً – وكذلك في وجدان كلّ مؤمن مسلم ، فلا تفوّق في الإسلام للحّر على العبد .

فَرُبَّ عبد مؤمن مسلم صالح تقيٍّ هو خير بإيمانه ودينه وعلمه وعقله وخصائصه النفسّية والجسدية من سيده .

أما الحرية والعبودية فقضيتان من النظام الاجتماعي

http://kotob.has.it

الذي يحدّد علاقات البشر ، دون النظر إلى اعتبارات تفوّق واستعلاء أو تدنٍ وانحطاط .

إن العلاقة بين العبد وسيده في مفاهيم الإسلام تشبه العلاقة بين عامل بأجر ، مهما كان هذا العامل عظيماً في صفاته وخصائصه الذاتيه والاجتماعية ، وبين ربّ عمل ، مهما كان رب العمل هذا منحط القيمة في صفاته وخصائصه الذاتية والاجتماعية . فموقع العامل بأجر اضطُرّ أن يؤجر نفسه لحاجته إلى الأجرة ، تجاه رب العمل ، هو موقع المكلّف المسؤول الذي يتلقى أوامر الذي يعمل عنده ، ويتلقّى نواهيه، حول العمل الذي أجر طاقة عمله له ما دام أجيراً ، وهذه العلاقة تحكمها ضوابط حقوقية .

وهي أيضاً تشبه العلاقة بين رئيس الدولة أو أي ذي سلطة إدارية ، وبين الذين هم تحت سلطته .

فهل صاحب السلطة الإدارية له تفوق في خصائصه البشرية بسبب كونه في موقعه الإداري ؟ !

http://kotob.has.it

إن كثيرين من الذين هم تحت سلطتـه هم أفضل منه اضعافاً مضاعفة في خصائصهم وصفاتهم النفسّية والجسدية، لكـن موقعهم في حدود النظـام الإداري هـو مـوقع المأمور الذي يجب عليه أن يطيع أوامر رئيسه .

ونقـول هنا لطارحي السؤال على طريقـة سؤالهم: ما معنى هذا التفوق ؟!

وإذا دافعـوا عنه فنقـول لهم على طريقتهـم أيضاً: ما معنى الـدفاع عن تفوق الرئيس على مرؤوسيـه ؟!وما معنى تفوق المدير على من هم تحت إدارته ؟!وما معنى تفوق البابا على الكـرادلة ؟!وتفـوق الكرادلة على البطـارقة ؟!وهكذا تسلسلاً حتى أدنى مراتب الإكليروس .

أمـا نحـن المسلمين المـؤمنين بمفـاهيم الإسلام فلا نرى العلاقة بين العبد وسيده ، ولا أمثالها تفوقاً ، بل هو أمر من النظام الاجتماعي اقتضته طبيعة الحياة الاجتماعية البشرية، لتنظيم أحوال النـاس ، ولـولا ذلك لفسـدت المجتمعـات ،

http://kotob.has.it

ولصار الناس فوضى .

وتطبيقاً لهذا المفهوم الإسلامي اتخذ العبيد والمُوَالي في تاريخ المسلمين سبلهم للارتقاء إلى أرفع المراتب الاجتماعية ، فكان منهم كبار العلماء والمحدّثين والقادة الموجهين ، والأئمة الأعلام ، ثم كانت لهم دولة ذات شأن تعرف في تاريخ المسلمين بدولة المماليك .

على خلاف العبيد في تاريخ الشعوب النصرانية ، الذين كانوا يُسترقون نهباً وسلباً من السواحل الإفريقية ، ويساقون بالتعذيب إلى أمريكا ، وعلى أجسادهم أقام النصارى العالم الجديد ، وهذه بقعة مظلمة سوداء في تاريخ الشعوب النصرانية ، ولا زالت مظاهر الاستعلاء التفوقي للعرق الأبيض على الشعوب السود موجودة حتى الآن ، في الشعوب النصرانية ، وهو ما يسمى بالتمييز العنصري ، الذي تعاني منه الشعوب السود ، على خلاف واقعهم بين شعوب الأمة الإسلامية .

http://kotob.has.it

أمـا الرق فقد كان قبـل الإسلام نظامـاً عـاماً عند كل الشعـوب ، وعند كل أهـل الملل والنحل ، ومنهـم اليهود والنصارى . وقد كانت له أسباب هي في معظمهـا ظالمة آثمة لا أخلاقية ولا إنسانية ، تعتمد على السلب والنهب والسطو بالقـوة المسلحة مع الإكراه بالقتل لمن يُسترق ، إذا تمـرد على من استرقه أو على من اشتراه منه .

ولما جاء الإسلام حث على عتق العبيـد ، ولم يكن من الممكن إلغاء الرق نهائياً من طرف واحد ، وهو طرف الأمة الاسلاميـة ، لأن الـرق مـن القضـايا التي تواضعـت عليهـا شعوب الأرض ، لكن الإسلام منع كل الموارد الظـالمة الآثمة التي كانت تمدّ نظام الرق وتجعل الأحرار عبيـداً ، وكان من اللازم أن يُعَامِلَ بالمثل في أسرى الحرب فقط ، لأن الأسرى من المسلمين عند غير المسلمين كانوا عُرضـة للاسترقاق ، أو يفـدون بنظائرهم ، أو بالأمـوال ، فكان مـن العدل في نظام الإسلام المعـاملة بالمثـل . وزاد الإسلام الأسـرى تكـريماً ،

http://kotob.has.it

فأعطى القيادة المسلمة حق المنّ باطلاق الأسرى دون مقابل، وبدأ النص القرآني به ، وسكت عن الاسترقاق ، إشعارا بعدم الرغبة فيه ، ولكن قد تدعو إليه المعاملة بالمثل، فقال الله عزّ وجلّ في سورة (محمد /٤٧) :

[فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ..(٤)]

ولم يقل القرآن : وإما استرقاقاً ، ليدل على أن الاسترقاق غير مرغوب فيه ، وإنما قد تدعو الحاجة إليه بمقتضى قواعد المعاملة بالمثل ، وليدل على أن من صلاحيات القيادة الإسلامية أن تتفق مع محاربيها على أن يكون التعامل فيما بينهم على إيقاف نظام الاسترقاق ، والاكتفاء بالمّن (أي : بإطلاق الأسرى دون مقابل) أو بالفداء (أي : بافتداء أسرى بأسرى أو افتداء أسرى بمال)

http://kotob.has.it

وإذا كان أصحاب السؤال يجهلون أو يتجاهلون أن نظام الرقيق والعبيد من الأنظمة لدى أهل الكتاب جميعاً ومنهم النصارى ، فإنني أحيلهم على النص الذي أوردته فيما سبق من الإصحاح العشرين من سفر التثنية ، وليقارنوا بين قول الله تعالى في القرآن : [فَإِمَّا مَناً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً] وبين ما جاء في سفر التثنية حول محاربة أهل المدن :

" فَإِن أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُون لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ.

وَإِنْ لَمْ تُسَالِمْكَ بَلْ عَمِلَتْ مَعَكَ حَرْباً فَحَاصِرْهَا ، وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلَهَكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ "

إلى آخر ما جاء في النص مما هو أشد وأقسى.

وأقول لهم أيضاً: ألم يكن لداود عبيد يطيعونه ويخضعون له ؟! ألم يكن لسليمان عبيد يطيعونه ويخضعون له ؟! ألم يكن لأيوب عبيد يطيعونه ويخضعون له ؟!

http://kotob.has.it

إذا كانوا يجهلون ذلك فإني أعرض عليهم مقاطع من كتابهم المقدس :

(١) جاء في الإصحاح الثاني عشر من "صَمُوئيل الثاني" ما يلي في معرض بيان حُزن داود من أجل مرض الولد الذي حملت به منه امرأة أوريا (كما يزعمون) كذبا وبهتانا على داود فيما نعتقد نحن له من عصمة عن الزنا:

"١٨ـ وكان في اليوم السابع أَنَّ الولد مات ، فخاف عبيد داود أن يخبروه بأن الولد قد مات لأنَّهم قالوا : هو ذا لمّا كان الولد حيّاً كلَّمْنَاه فلم يسمع لصوتنا . فكيف نقول له قد مات الولد . يَعْمَلُ أَشَرَّ

١٩ـ ورأى داود عبيده يتناجون ففطن داود أن الولد قد مات . فقال داود لعبيده : هل مات الولد ؟ فقالوا : مات " إلى آخر القصة .

(٢) وجاء في الإصحاح الحادي عشر من سفر "الموك الأول" ما يلي في معرض الحديث عن سليمان:

http://kotob.has.it

" ٣ ـ وكانت له سَبْعُ مئةٍ من النساء السيدات وثلاثُ مئة من النّساء السَّراري وأمالت نساؤه قلبه "

(٣) وجاء في سفر أيوب بيان عن خدمه وغلمانه الكثيرين ، العاملين في خدمته ، المطيعين لأوامره ونواهيه ، وجاء فيه بعض بيان عن عبيده وإمائه . فلما امتحنه الله بزوال النعمة جاء في أقواله كما في الإصحاح التاسع عشر:

"١٤ ـ أقاربي قد خذلوني والذين عرفوني نسوني .

١٥ ـ نزلاء بيتي وإمائي يحسبونني أجنبيّاً. صرت في أعينهم غريباً.

١٦ ـ عَبْدِي دعوتُ فلم يجب "

ثم ألا يذكرون أن سارة زوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام كانت لها أمة هي هاجر وأنها وهبتها لزوجها إبراهيم . ولمّا حملت منه غارت منها ، وألزمت زوجها بإبعادها ، حتى أخذها هي وابنها الرضيع إسماعيل إلى مكة وتركها في واد غير ذي زرع بأمر اللّه وإذنه ؟

(٤) وجاء في رسالة بطرس الرسول الأولى (الاصحاح الثاني) ما يلي :

" ١٨ ـ أَيُّهَا الْخُدّام كُونُوا خَاضِعِينَ بِكُلِّ هَيْبَةٍ لِلْسَّادَةِ لَيْسَ لِلْصَّالِحِينَ الْمُتَرَفِّقِينَ فَقَطْ ، بَلْ لِلْعُنَفَاءِ أَيضاً ـ ١٩ ـ لأَنَّ هَذَا فَضْلٌ إِنْ كَانَ أَحَدٌ مِنْ أَجْلِ ضَمِيرٍ نَحْوَ اللَّه يَحْتَمِلُ أَحْزَاناً مُتَأَلِّماً بِالْظُّلْمِ ـ ٢٠ ـ لأَنَّهُ أَيُّ مَجْدٍ هُوَ إِنْ كُنْتُمْ تُلْطَمُونَ مُخْطِئِينَ فَتَصْبِرُونَ . بَلْ إِنْ كُنْتُمْ تَتَأَلَّمُونَ عَامِلِينَ الْخَيرِ فَتَصْبِرُونَ فَهَذَا فَضْلٌ عِنْدَ اللَّه ـ ٢١ ـ لأَنَّكُمْ لِهَذَا دُعِيتُمْ "

* * *

http://kotob.has.it

السؤال الثاني

" لماذا يقال بأن اللّه قد خلق البشر سواسيةً في الحقوق والواجبات ، بينما تُقْبَلُ عدم المساواة لأسباب دينية . كما يُعْلَنُ عن تفوق المسلم على غير المسلم وإن كان الأخير من (أهل الكتاب) ومن أتباع الديانات الأخرى ، أو من غير المؤمنين .

ونجد هذه اللامُسَاواة في الميادين الحقوقية والاجتماعية ، اعتماداً على العقائد الدينّيه .

ونحن بدورنا نتساءل : هل يتعارض التعايش بالحقوق نفسها ، بين المسلمين والنصارى واليهود وبقَّيةِ الناس ، مؤمنين أم غير مؤمنين مع العقيدة الإسلامية وبخاصة بالنسبة إلى قضية تطبيق الشريعة دون تمييز على المسلمين وغير المسلمين "

الجواب

السؤال مطروح بشكل عامّ دون بيانٍ ولا تحديدٍ ولا

http://kotob.has.it

أمثلة ، والأسئلة العامة مزالق مغالطات لايُجاب عليها أجوبة عامة .

والاعتراض الوارد في السؤال يتضّمن اعتراضاً عاماً غَيْرَ محدّد ، وغير مقترن بأمثلة ، ومثل هذا الاعتراض ساقطٌ لا قيمةَ له في مجال البحث العلمي ، والحوار العقلي المنصف المتجرّد .

إنَّ باستطاعة أيّ إنسان غير ملتزم بمنطق الحوار العلْمِيّ والمناظرة النظيفة الحصيفة الشريفة ، أن يقول لأي فاضل نزيه شريف بريء : لماذا تتظاهر بالفضل والنزاهة والشرف والبراءة ، بينما نَجِدُك على خلاف ذلك ؟!

إنّ أوّل ردٍّ مهذَّب يرُدُّ به هو أن يقول : ماذا تُنْكِر عليّ من قول ، أو خلق ، أوسلوك ؟

أثبت بالأمثلة من الواقع ما أنت تشتمني به .

ونحنُ هُنا نردُّ بمثل ما ردَّ به الرسول " نوح عليه السلام " على قومه إذْ قَالُوا له : إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِين ،

http://kotob.has.it

فقال لهم : يا قومِ ليسَ بِي ضَلاَلَةٌ .

قـال اللـه عزّ وجل في القـرآن، في سورة (الأعـراف /٧):

[لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَـوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَـا لَكُـمْ مِـنْ إِلهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُـمْ عَـذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ (٦٠) قَـالَ يَا قَـوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَـالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُـمْ رِسَـالاَتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُـمْ وَأَعْلَمُ مِـنَ اللَّـهِ مَـا لاَ تَعْلَمُونَ (٦٢)]

ونردُّ بمثل ما ردَّ بِه الرسول "هودٌ عليـه السلام" على قـومه إِذْ قـالوا لـه : إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَـاهَـةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّـكَ مِـنَ الْكَاذِبِين.

فقـال لهم : يَا قَومِ لَيـسَ بِي سَفَاهَة وَلَكِنِي رَسُـولٌ مِنْ رَبِّ العَالمِين .

قـال اللـه عـزّ وجل في القـرآن الكـريم ، في سـورة (الأعراف /٧) :

http://kotob.has.it

[وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ؟! (٦٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨)]

ومع هذا فإني أقدم تصوراً كلياً عامّاً عن الحقوق والواجبات في الإسلام يُدرك طارحو السؤال من خلاله كيف ينبغي أن تُطرح الأسئلة والاعتراضات ، ويظهر أنهم بعيدون عن الدراسات الحقوقية والقانونية أُمِّيُّون في هذا المجال العلمي ، كما هم أُميُّون في كتابهم المقدس ، أو متجاهلون يغالطون في طرح الأسئلة، ظانّين أن المسلمين تنطلي عليهم حيل الأسئلة.

إن التفصيل في هذا الموضوع يحتاج بياناً واسعاً يعتمد على تتبع جزيئات الحقوق والواجبات ، ومعرفة من له حق ما ، ومقدار ذلك الحق ، ومعرفة من ليس له حق ،

http://kotob.has.it

ثم معـرفة مـن عليه واجب مـا ، ومقدار ذلـك الـواجب ، ومعـرفة من ليس عليه واجب ، كل ذلك على وجه الـدقة .

وقبـل أي بحث في هـذا الموضوع أقول : إن الإسلام يقرّر من مبادئه الكلية العامة مبدأ العدل ، لا مبدأ المساواة ، ومبـدأ العـدل يقتضي إعطـاء كـل ذي حق حقـه ، أو على مقدار حقه دون زيادة ولا نقصان.

وإعطـاء كل ذي حق حقه ، أو على مقـدار حقه دون زيادة ولا نقصـان هو واجب على مـن يملـك هـذا الإعطاء .

أمثلة

(١) فمـن حق الله على عباده أن يؤمنوا به ربّاً واحداً أحداً لا شـريك له ولا ندَّ له ، ولا ولد له ، ولا صـاحبة له .

ومن حق الله على عباده أن يعبدوه وحده لا يشركوا بعبادته أحداً . وأن يطيعوه في أوامره .

إذن فعلى كـل ذي إرادة حرّة عَلِمَ بحقـوق اللـه عليـه بنفسه ،أوبلاغاً عن طريق الرسل، واجبُ أداء هذه الحقوق.

http://kotob.has.it

ومن كفر بالله ، في ربوبيته الواحدة ، أو في ألـوهيته الـواحدة ، أو عصى أوامـر الله ونواهيه ، ولم يؤد حقـوق الله عليه ظلم وأجرم ، واستحقّ المؤاخذة والعقـاب بنفسه ، على مقدار استهانته أو تقصيره بأداء حقوق اللَّـه عليه ، ولا يحمـل مخلوق ما كائنـا من كان وزراً اكتسبـه مخلوق آخر ، "كُـلُّ نَفْـسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَـة " ، وهـذه قـاعدة مـن قواعد الـــدين منزّلـة على إبراهيم عليـــه السلام فَمَـــنَ بَعْـدَهُ مـن المرسلين ، وفكرة تَحَمُّلِ عيسى عليه السلام الخطيئة عن غيره بتقـديم نفسه للصلب ، خرافـة لاأصل لها في قـانون العدل الـرباني ، صنعها محرّفو الـديانة الربانية ، التي جاء بهـا عبـد الله ورسوله عيسى عليه السلام .

(٢) وقد أعطى الله عباده حقوقاً قسّمها بينهم بحسب مـا وهبهم ، وكلّفهم من الواجبات على مقـدار ما وهب كلًّا منهم.

فلكـل ذي حياة حقٌّ في أن يحيـا ، وفي أن يكـــون لـه

http://kotob.has.it

رزق ، وفي أن يكون له من مطالب حياته ما يحتاجه لها، طَوال مدة رحلة امتحانه في الحياة الدنيا.

وعلى الناس جميعاً أن يصونوا له هذا الحق ، ما لم يعمل عملاً يستحقّ عليه عقاباً ، وقد يصل العقاب إلى عقوبة الطرد من الحياة الدنيا بالقتل .

هذا الحقّ يتساوى فيه الناس جميعاً ، فهم فيه سواسية ، بشرط أن لا يعتدي صاحب هذا الحقّ على حقّ الله ، أو حقوق الآخرين من عباد الله ، أو شيء من خلق الله .

ومن الحقوق التي يجب أن تبقى مصونةً للإنسان في رحلة امتحانه ، تأمين حريّته الشخصية في أن يؤمن بما شاء ، ويكفر بما شاء ، وفي أن يفكّر كما يشاء ، ويختار لنفسه من الدين والاعتقاد ما يشاء ، فلا يُكْرَهُ ولا يُجْبَرُ على دينٍ ما أو اعتقادٍ ما ، لكنه بعد ذلك ملاحقٌ عند الله بالمسؤولية والحساب والجزاء.

http://kotob.has.it

فإن اعتدى على غيره من أصحاب هذا الحق فأجبرهم على أن يؤمنوا بمثل ما آمن به ، أو أن يدينوا بدينه ، وأَكْرَهَهُم بأية وسيلة ، من وسائل الإكراه ، كان على أهل الرشد من البشر أن يمنعوه من ذلك ، ولو بأن يقاتلوه إذا اقتضى الأمر قتاله ، لإزاحته من موقع السلطة الإكراهية .

وقد علَّمَنا القرآن أنه لا اكراه في الدين ، وأن الأنبياء والمرسلين جميعاً لم يُكرهوا الناس على الدين ولم يقبلوا ديناً بإكراه ، ولم يقرّروا مؤاخذةً على الكفر بالحق إذا كان ناشئاً عن إكراه .

والأمر في التوراة والإنجيل والقرآن بقتال الكافرين ، إنما هو لتأمين حريات الأفراد في الدين ، وازاحة ذوي السلطان الذين يُكْرِهون الناسَ على وثنيّاتِهم وكفرياتهم ، عن مراكز قواّتهم التي بها يُكرهون الناس .

هذه تعاليم الإسلام ، وأدلتها كثيرة وواضحة .

(٣) وتوجد حقوقٌ لبعض الأفراد ، هي واجبات

http://kotob.has.it

على غيرهـم ، دون تبـادل التسـاوي بين هــؤلاء وهـؤلاء .

إن للــوالدين مثلاً حقـوقاً على أولادهمـا ، وهـذه الحقـوق يترتب عنها واجبات على الأولاد ، ذكـوراً وإناثاً ، فالتساوي بين الوالدين وأولادهما في الحقـوق والواجبات غير معقـول وغير ممكن ، لأنه لا يمكـن أن يكـون الابن أباً لأبيـه حتى يكـون له عليـه من الحقّ مثلُ مـا لأبيـه عليه من الحقّ ، إنه دور مستحيل عقلاً .

إذن فحـقّ الوالدين على الـولد لا يسـاوي مـن هذه الناحية حقّ الولد على والده أو والدته .

لكنَّ للولد حقّاً آخر على أبيه وأمه ، ولا يوجد لهـذا الحقّ مساوٍ عند الوالد نحو ولده .

وكـلّ حقٍّ من جهةٍ على جهـةٍ يقابله واجبٌ على مـن عليـه الحقّ ، فحقّ الـرئيس على من هم تحـت يده بمقتضـى النظام الاجتماعي يقابله واجب عليهم ، هـو أن يطيعوه في غير معصيـة اللّه ، وفي أن يحترمـوه ويوقـروه ، ولهـم حقٌّ

http://kotob.has.it

عليـه في أن يعدل بينهم ويَرْفُقَ بهم ، ويعمـل على أمنهم ، وتيسير وسائل كسب أرزاقهم ، ونحو ذلك .

والـزوج بمقتضى قوامته على زوجته ، لـه عليها حقٌّ أن تطيعَـه بالمعروف في غير معصيـة الله ، وأن تُعِفَّـهُ ، وأن تُهّيء لـه الـوسائل حتى تكـون لـه سكنـاً ، ويجـد عنـدها طمأنينة ، إلى غير ذلك من حقوق .

وحقّها عليه أن ينفقَ عليها ، ويكون لها عوناً وسنداً ، ويرفق بها ، ويعاشرها بالمعروف .

ونرى أنَّ الحقـوق والـواجبات بينهمـا ليست في كلّ العنـاصر متطابقة ولا متساوية ، هو منفق وهـي غير منفقه ، هو صاحب قوامة وهي ليست صاحبة قوامة .

إن طبيعـة الخصـائص المختلفـة تقتضي التكـامل ، لا التطابق ولا التساوي ، فمطلب التساوي منشـؤه سوء الفهم لطبيعة الوجود ، وطبيعة الحياة ، وتطبيقـه يؤدي إلى الفساد والإفساد .

http://kotob.has.it

وهكذا إلى سائر الحقوق والواجبات .

أما المسلمون فقد قامت بينهم وحدة الدين عقيدةً وشريعةً ونظاماً ، فكل من ينتمي إلى هذا الدين هو مكلّفٌ أن يلتزم بالحقوقِ والواجباتِ المبيّنه فيه ، والتي تحددها الخصائصُ والصفاتُ ، وتقومُ على مبدأ العدل ، لا على مبدأ التساوي .

أما المسلمون مع غير المسلمين الذين لم يؤمنوا بالعقيدةِ الإسلامية ، والشرائعِ الإسلامية ، والنظامِ الإسلامي ، فالجامع بينهم روابط إنسانية ، والحقوق والواجبات بينهم تحدّدها مفاهيم هذه الروابط ، وقواعدها عامةٌ .

وتقوم على مبدأ العدل لهم أو عليهم ، لا على مبدأ التساوي ، فكلّ حقٍ تقرره مبادىء الحقوق الإنسانيه يقابله واجب على الآخرين أن يحترموه ، ويلتزموا به إذا كان يتعلق بهم .

http://kotob.has.it

فالجماعة المسلمة لها روابط قائمة على وحدة الدين ، وهذه الروابط لها نظام عام شامل .

وحين يتكوّن مجتمع ما من أكثريّة لها روابط قائمة على وحدة الدين ، وأقلّيةٍ لا تدين بدين الأكثريّة فإن الأكثريّة ليست مطالبة في منطق المجتمعات البشرية كلّها بأن تتنازل عن مبادئها ومصالحها من أجل الأقليّة ، وقد تُعطى الأقلية بعض استثناءات لا تتعارض مع قواعد النظام العام ، ولا تتعارض مع المصالح الكبرى للأكثريّة .

هنا أقول : هل يوجد في أية دولة ذات أكثريّة نصرانية أو قوميّة من دول العالم أنظمة متعدّدة بعدد الأقليات الدّينية أو القومية فيها ؟!

أم توضع الأنظمة العامة بمقتضى رغبات ومصالح الأكثريّة ؟!

إن كل الأنظمةِ الديمقراطية في العالم تحددها ـ بِحَسَبِ الظاهر ـ إرادةُ الأكثرية ، ثم تُفْرَضُ على الجميعِ ، ومنهم

http://kotob.has.it

الأقليات التي لم تُحترَم إراداتها ، وفي أحسن الأحوال وبعد المطالبات الملحّة قد تُعطى إنسانياً بعض حقوقٍ استثنائيّة ، كالمعابد والمدارس الخاصة بها ، وبعض المراكز التي يُمكّنون فيها من نشاطٍ دينيٍ محدودٍ ، رغم أنها أنظمة قائمة على مبادىء علمانية غير نصرانية .

أما الدول التي تشتد فيها النزعة النصرانيّة ، فالأقليات المسلمة فيها مقهورة ، مهضومة الحقوق ، مضطهدة من أجل دينها ، لا تجد أية مساواة بينها وبين الأكثريّة النصرانيّة ، في كل المجالات ، وبعض الأقلّيات المسلمة في بعض البلدان النصرانيّة من هذا القبيل يفرض عليها تغيير أسمائها الإسلامية ، فأين المساواة المدّعاة ؟

هل وَجَدَتْ الأقلّيات النصرانية في الدول الإسلامية عبر تاريخها الطويل ، شيئاً من هذا الذي تُعاني منه الأقلّيات المسلمة في الدول ذات التعصّب النصراني ؟

إن الإسلام راعى للاقليات غير المسلمة استثناءاتها

http://kotob.has.it

الخاصّة التي تقتضيها أحكام أديانها الخاصّة بشرط عدم التأثير على النّظام العام، أو الإخلال بقواعده وأمن المجتمع.

ومن ناحيةٍ أخرى أقول بنظرةٍ حقوقيّةٍ: إذا كان المسلم يتمتع بين المسلمين بحقوق أكثر من حقوق غير المسلم أحياناً، ويتحمل من الواجبات عليه للمسلمين أكثر مما يتحمل غير المسلم، فهذا أمر اقتضته طبيعة روابط وحدة الجماعة بينهم، ولا يُقال هذه نزعة تفوق، وفي المقابل نجد كل جماعة في الدنيا تجمعهم روابط متكافئة، لهم على بعضهم حقوق وعليهم نحوهم واجبات، ولا يوجد نظيرها بينهم وبين غيرهم من الجماعات الأخرى، التي تؤلّف بينهم روابط أخرى، دينيّة، أو وطنيّة، أو مذهبيّة، أو حزبيّة، حتى الأسرة تجمع بينها روابط، وهي لا تُطالَبُ بأن تعامل أفراد سائر الأسر بمثل ما تعامل به أفراد أسرتها تماماً.

كذلك لا يقال: إنّ لغير المواطن الذي لا يحمل

http://kotob.has.it

جنسّية الدولة من الحقوق على الدولة مثـل حقوق المواطن بالتساوي ، فهذا لا يقول به أحد من الناس ، وذلك لانعدام روابط المـواطنة ، وليـس تفضيل المواطـن في الحقـوق على النزيل الضيف ، أو عابر السبيل ، أو المقيم بعهـد أو أمان ، هو من قبيل التفوّق الإنساني .

والـذي يظهـر أنّ واضعـي السـؤال مـن المـؤسسة التبشيرية العـاملة تحـت تنظيم " الآباء البيـض " لم يدرسـوا مبادىء الحقوق في الشرائع الدينّيه أو القـوانين الوضعية ، لأنـنـا نلاحظ على أسئلتهم حول المساواة جهلاً لا نراه عنـد الـذين لديهم معرفة ما بأصول قوانين الحقـوق وقواعدها .

وأكـره أن أقـول : إنّ السـؤال يعتمد على المغـالطة والتضليل ، فهما غير أخلاقِيَّيْنِ في المناظرة ، أو الحـوار ، أو طرح الأسئلة .

*　*　*

http://kotob.has.it

السؤال الثالث

"لماذا يقبل تفوّق جنس على آخر ؟ وهو أمر نراه من خلال النقاط التالية :

١ ـ قبول تعدد الزوجات مع تحريم تعدد الأزواج.

٢ ـ إمكانية هجر الرجل لزوجته دون أن يقدّم تبريراً لعمله ، ومن دون أن يعاني من أيّة نتائج لعمله هذا ، بينما لا تستطيع المرأة سوى الحصول بصعوبة على الطلاق ، وعن الطريق القانوني فقط .

٣ ـ للأب حق الوصاية أو الولاية على الأبناء دائماً ، وإن كان الأطفال في حضانة الأم .

٤ ـ بالنسبة إلى المواريث نجد أن نصيب المرأة في أغلب الأحيان ، هو أقل من حصّة الرجل .

الجواب

إن سؤالهم حول تعدّد الزوجات مع تحريم تعدّد الأزواج سؤال عجيب من الذين يؤمنون بأنبياء بني

http://kotob.has.it

إسـرائيل ، وبأسفـار العهـد القـديم من كتـابهم المقـدس .

لنـا مع الذين لا يؤمنـون بكتاب ربّاني من الملاحدة والعلمانيين كلام طويل ، وبيان مستفيض ، نبيّن فيه حكمة الـرسالات الـربانية في إباحة تعـدّد الزوجات ، مـع تحـريم تعدّد الأزواج في وقت واحد .

أمـا النصـارى الذين يؤمنـون بإبراهيم عليـه السلام رسولاً ، ويؤمنون بإسحاق ويعقوب وموسـى وسائر أنبياء ورسـل بني إسـرائيل ، فـإنّنا نُحِيلهـم على مـا هـو مدوّن في كتابهم المقدس من نصوص وبيانات تدلّ على أنّ مِنْ شريعة هـؤلاء الـرسل جميعـاً إِباحَةَ تعـدُّد الـزوجات دون تعـدّد الأزواج طبعاً.

وأن بعــض أنبيــائهــم ورسلهـم كـانوا يُعـدّدون الزوجات .

فقد كان لإبراهيم عليه السلام في وقت واحد زوجة ، هـي "سـارة" وجارية وهبتهـا لـه زوجتـه وهـي "هاجر"

http://kotob.has.it

المصرية ، التي وهبها لسارة فرعون مصر وحملت منه بإسماعيل عليه السلام .

وكان ليعقوب "إسرائيل" عليه السلام زوجتان شقيقتان هما : "لَيْئَة" وهي الكبرى ، و "راحيل" وهي الصغرى ، وكان له معهما جاريتان هما : "بَلْهَة" جارية راحيل ، و "زِلفَة" جارية لَيْئَة وأنجب من الأربعة أولاده الاثني عشر ، هم أجداد أسباط بني إسرائيل .

وكان لداود عليه السلام عدّة زوجات ، فمنهنّ زوجتان جاء ذكرهما في الإصحاح الثاني ، من سفر "صموئيل الثاني" فقد جاء فيه :

" (٢) فصَعِدَ دَاودُ إلى هُناكَ هو وامرأتَاه أخينوعَمُ اليزرعيلية وأبيجايل امرأة نابال الكَرْمُلّي (٣) وأصعَدَ داود رجاله الذين معه كُلّ واحدٍ وبيته وسكنوا في مدن حبرون (٤) وأتى رجال يهوذا ومسحوا هناك داود ملكاً على بيت يهوذا "

http://kotob.has.it

وقد سبق بيان ما لسليمان عليه السلام من زوجات ، وهـــن (٧٠٠) سيـدات ، و (٣٠٠) سـراري كمـــا جاء في الإصحاح (١١) من سفر الملوك الأول .

واستمـرت شـريعة تعـدّد الزوجات في بني إسـرائيل وفي رسـالة عيسى عليه السلام ، ثم جاء منـع التعدّد تحريفاً كَنَسِياً في النصرانية ،مستنداً إلى وصيةبولس[1] في رسائله ، كمـا جاء في رسالته الأولى إلى أهل كورنثـوث (الاصحاح السابع) .

والتعـدُّد أمـرٌ منصوص عليـه في سفـر (التثنيـة) في الإصحاح الحادي والعشرين منه ما يلي :

" (١٥) إِذَا كَـانَ لِـرَّجُلٍ امْـرَأَتَانِ إِحْدَاهُمَـا مَحْبُـوبَةٌ وَالأُخْرَى مَكْرُوهَةٌ فَوَلَدَتَا لَهُ بَنِينَ الْمَحْبُوبَةُ وَالْمَكْرُوهَةُ . فَإِنْ كَانَ الابْنُ البِكْرُ لِلْمَكْرُوهَةِ ، (١٦) فَيَوْمَ يَقْسِمُ لِبَنِيهِ مَا كَانَ

---

(١) بولـس هـذا هو محرف المسيحيـة الأكبر كـان عـدواً للمسيـح ومحارباً لتلاميذه وأتباعه ، وبعد المسيح دخل النصرانية منافقاً ، وأفسد الديانة بمكر يهودي .

http://kotob.has.it

لَهُ لاَ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يُقَدِّمَ ابْنَ الْمَحْبُوبَةِ بِكْراً عَلَى ابْنِ الْمَكْرُوهَةِ الْبِكْرِ (١٧) بَلْ يَعْرِفُ ابْنَ الْمَكْرُوهَةِ بِكْراً لِيُعْطِيَهُ نَصِيبَ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يُوجَدُ عِنْدَهُ لِأَنَّهُ هُوَ أَوَّلُ قُدْرَتِهِ لَهُ حَقُّ الْبُكُورِيَّة " .

بعد هذا أقول : ما هو جواب أصحاب السؤال حول إباحة تعدّد الزوجات في رسالات رسل بني إسرائيل ؟ وحول وجوده فعلاً في تاريخهم ؟

إنهم إذا وصلوا إلى جواب يُقْنِعُهُمْ عمّا لديهم في الرسالات الربّانية التي يؤمنون بها ، فَلْيَكُنْ هذا الجواب كافياً لهم ، ورداً على سؤالهم الإيهاميّ التشكيكي .

* * *

http://kotob.has.it

إجابة لاقناع العلمانيين اللّادِينِيّين

وبعد دفع تشكيك أصحاب السؤال من النصارى ، أقول للعلمانيين اللّادينيين الذين قد يخطر في بالهم طرح مثل هذا السؤال ، ما يلي :

إن إباحة تعدُّدِ الزَّوجات في الإسلام دون إباحة تعدّد الأزواج ، هو ما تقتضيه الحكمة الرفيعة في المجتمع البشري.

أما تعدّد الأزواج فأمر لا يُقرُّه عاقل ، ولا يُقرّه دين ، ولا نظام وضعيٌّ بشري ، إذ لا تساوي بين المرأة والرجل في الحَمْلِ والوِلاَدَةِ ، فكيف يُطْلَبُ التساوي في التعدّد .

إنّ السَّبَبَ في مَنْعِ تعدُّد الأزواج ظاهر واضح ، وهو ما قد يُفضي إليه تعدُّد الأزواج من اختلاط الأنساب ، مع منافاته أصلاً للطبيعة البشرية التي فطر اللَّه الناس عليها ، فالزَّوج هو الذي له الإدارة والقوامة ، ومَعْلُومٌ أن السفينة الواحدة لا يقُودها ربّانان في آن واحد ، والتَّناوب في الحياة

http://kotob.has.it

الـزوجية بين صـاحبي قـوامة غير ممكـن لا على سبيـل المشـاركة، ولا على سبيـل التقسيم الـزمني الـذي يعـرف بالمُهـايأة، ويؤدي إلى خلافـات وصـراعـات حتميـة تنتهي بالتّدمير السريع للأسرة .

وأمـا إباحة تعـدُّد الـزوجات فـأمرٌ تقتضيـه مصـالح إنسـانية كثيرة ،وقـد يكـون التعـدّد هـو الحـلّ الأفضـل والأنسـب لكثير من المشكلات في المجتمـع البشـري ، ومن ذلك ما يلي :

أولاً :

إنّ إباحةَ تعـدُّد الـزوجات بشكل صـريحٍ وعلَنيٍّ مع عدم الإذن بالزيادة على أربع زوجاتٍ في وقـت واحد ، ومع الإلـزام بالعدل بين الـزوجات ، وإلا فيجـب الاقتصار على واحدة ،وهـو ما قَرَّرته أحكام الشريعة الإسلاميـة ، أفضلُ أَلْـفَ مرّة مما تُعاني منـه المجتمعات النصـرانية والعلمـانية التي تمنع تعدُّد الزوجاتِ الرسميّات الصريحـات ، من انتشار

http://kotob.has.it

التعـدّد فعلاً دون ضوابط ، وبطرق سفاحيـة غير مشروعة ، ولا تَسْتَتْبِعُ حقوقاً ، ولا التزامات على الـزوج ، وتنتشر بها اللُّقطـاء أولاد الزنا ، أو يعيشـون في الحيـاة ليـس لهم آباءٌ معروفون يسألون عنهم، ويتحملون مسؤولياتهم تجاههم.

إن هـذه المجتمعات التي تمنع تعدد الـزوجات تغضي النظر عن تعدُّد العشيقات ، والخليلات ، والصـواحب ، أو تسمح بذلك علناً ، ولا تجد في الزنا أيّ حرج مادام قائمًا على تراضـي الطـرفين ، حتى غـدا التعـدّد بهـذه الطـرق غير المشـروعة والتي لا ضـابط لهـا ، ظـاهرةً متفشيـةً في هـذه المجتمعـات التي تنتمـي إلى المسيحيـة أو إلى العلمـانية اللّادينيـة ، حتى لا تكاد تسلم منها إلا القلّـة القليلة النادرة .

والسبب في ذلك أن كثيراً من الرجال لا تقنعهـم ولا تكفي مطالبهم زوجة واحدة ، فإذا كان النظـام المعمول به لا يسمح بأكثر من زوجة واحدة ، فإنّهم يلجـؤون إلى اتّخاذ العشيقـات والخليلات والصـواحب غير الشـرعيات ، مـع ممارسة الزنا فوقهن بلا حدود .

http://kotob.has.it

أفإقرار التعدّد عن طريق الزنا مع التحرر من التّبِعات أصلح للمجتمع، أم إقراره مضبوطاً مُرَاقباً محدوداً، تُراعى فيه الحقوق، وتُلتزم فيه تَبِعَات الحياة الزوجية كاملة ؟!

ثانياً :

قد تتعرض المجتمعات البشرية لاحتمالات زيادة عدَدِ النساء عن عدد الرجال الأمر الذي يُفضي إلى إبقاء قسم من النّساء عوانس أو أرامل، لا يجدن من يتزوجهن من الرجال، لقلة أعدادهم عن أعداد النساء، وقد حصل هذا كثيراً في أعقاب الحروب.

ولا نعلم فيما سبق في التاريخ أن زاد عدد الرجال على عدد النساء، فالحكمة تستدعي إعطاء حكم الإباحة، مع ضوابط العدل بين الزوجات، وضمان حقوقهن كاملة.

ثالثاً :

قد تتعرض المرأة لمرض لا تستطيع معه القيام بالوظائف الزوجية، وتكون مجرد عبء على الزوج، أو

http://kotob.has.it

قـد يفقد الرجل مشاعر الميل الجنسي إلى زوجتـه ، وفي كلٍّ من هاتين الحالتين يكون الزوج أمام حَلّين :

ـ إمّا أن يُطلّق ليتزوج غير زوجته .

ـ وإمّا أن يُعَدِّد ، والتعدد خير للمرأة من طلاقها ، أو أهـون على نفسها ، على أن لهـا أن تختار الطلاق عـن طريق المخـالعة إذا لم تصبر على أن تشـاركها غيرهـا في زوجهـا .

رابعاً :

قـد يكون الرجل مخصباً ، وتكون المرأة عقيمـاً ، ولا يُرِيد الـرجل أن يُضارّ العقيم بالطلاق ، ويحـرص على بقـاء المودّة بينهما ، مع رغبته في الإنجاب .

وفي هـذه الحالة قـد يكون من الأصلـح للمـرأة ، أو الأهـون عليها أن تكـون شريكة لامرأة أخرى في رجلهـا ، مـن أن تُطلَّـق وتكون بغير زوج ، وهـذا مـا تفضّلـه معظم الزوجات العقيمات .

على أنها إذا رغبت في الطلاق فلها أن تطـالب به ويتمّ

http://kotob.has.it

ذلك عن طريق السلطة القضائية وبحكم الشـرع ثم تبحث عـن زوج آخر يرضى بهـا وهي عقيم ، ويكـون ملائمًا لها .

وحين يكـون العقـم مـن الزوج فإن لهـا الحـق بأن تطـالب بالطلاق عـن طـريق المخـالعة لتتزوج بمخصـب .

وأخيراً أقـول : إن التعـدُّد في الغالـب يكـون مخالفاً لـرغبة المـرأة ، ولا يكـون مـوافقاً لـرغبتهـا إلا نادراً جداً، ولكنّـه لا يكون مخالفاً لإرادتهـا ولما تراه الأفضـل لهـا ، أو الأخفّ والأهون على نفسها .

وذلـك لأنّ السابقة التي يسوؤها مشـاركة أخرى لها في زوجهـا ، باستطاعتها أن تطالب بالطلاق ، ولكنهـا قد لا تطـالب به لأنها ترى أن مـن الأفضل لهـا أن تكون شريكة لأخرى في زوجها من أن تكون خليّة في بيـت أبيها لا زوج لها .

أمـا اللاحقـة فإنمـا تدخل وهـي راضيـة بأن تكـون شريكة ، إذ لو وجدت الأفضل لما وافقت ، إذن فمـوافقتها

http://kotob.has.it

قائمة على أساس الرضا بالمشاركة ، فلو أنها كانت قد وجدت الـزوج المنـاسب الذي تستقـلُّ به لم توافـق على أن تكـون شريكة لأخرى .

بهـذا نلاحظ أنّه لا ظلم ولا إكراه لإرادة المـرأة في أي حال مـن الأحوال ، أمّـا الـرغبات ومطـالب النفـس ومـا تشتهـي في الحياة الدنيا ، فإنَّه ما من رجل ولا امـرأة في هذه الحيـاة يستطيع أن يحقّق كلّ رغباته ، ولا الكثير منهـا ، لأن الحيـاة الدنيا حياة امتحـان وابتلاء ، بالخير والشـر ، بما يسرُّ ومـا يسوء ، بالنِّعَمِ والمصائب ، وليست حيـاة تحقيقِ كاملِ الرغبات ، بل نِعَمُها ولذاتها مختلطةٌ دواماً بمصائب ومؤلمات ومحـزنات ، والمحبوبات فيها ممتزجة بالمكـروهات ، لحكمةِ الامتحـان ، في ظـروف هـذه الحيـاة الدُّنيـا ، وهكـذا دواماً ظروف الامتحان الأمثل ، وقد جعل اللَّه للمـرأة التي تصبر على مشـاعر الغيرة مـن شـريكتها في زوجهـا أجراً عظيمـاً .

* * *

http://kotob.has.it

وأمـا حقُّ الـوِصَاية على الأبنـاء فهـو تابع لِقَـوَامةِ الـرَّجُل في نظام الإسلام داخل أسرته ، وهـو كحق الرئيس أو المـدير على كـلّ مـن هـو تحـت يده ، في كـل الشـرائع والأحكـام الربانية ، وفي كـل الأنظمة البشـرية الوضعية ، وقد سبق إيضاح هذه الفكرة .

وأزيد هنـا أن التعـاليم الدينية عند أهـل الكتاب من اليهود والنصارى ، تجعلُ للرجل حق السيادة في أسرته على زوجته وأولاده .

ففـي الإصحـاح الثـالث من رسالة بطـرس الـرسول الأولى ما يلي :

" (١) كَـذلِكُنّ أيتها النساء كُنّ خاضعـات لرجالِكُنَّ حتى وإن كـان البعـض لا يُطِيعُـونَ الكلمـة يُربَحُـون بسيرة النسـاء بدون كلمة (٢) ملاحظين سيرتكـنّ الطاهرة بخوف ...... (٥) فـإنه هكـذا كانت قديماً النسـاء القـديسات أيضاً المتـوكلات على اللـه يُزَيِّنَّ أنفُسهـنَّ خاضعـاتٍ لـرجالهنَّ

http://kotob.has.it

(٦) كما كانت سارةُ تُطيع إبراهيم داعيةً إيّاه سيدها التي صِرْتُنَّ أولادها صانعاتٍ خيراً وغير خائفاتٍ خوفاً البتّه . "

أليس عجيباً أن يطرح " الآباء البيض " سؤالاً انتقادياً للإسلام ، حول أمرٍ هو جزء من وصايا دينهم ؟!

لو طرحه العلمانيون أو الذين لا يؤمنون بدين لكان لنا معهم أجوبة أخرى علميّة وعقليّة وتجريبيّة .

وأمّا كون ميراث المرأة أقلَّ من ميراث الرجل ، فلدى المسلمين بحوثٌ تفصيلية كثيرة ، حررَّها كُتَّابٌ مسلمون متعدّدون ، وأثبتوا فيها أن هذا هو الأمر الطبيعي الأكمل ، بعد أن حُمِّل الرجلُ في نظام الإسلام مسؤوليةَ بذْلِ المهر لزوجته ، والإنفاق عليها وعلى سائر أسرته ، ولم تُكلّف المرأة من ذلك شيئاً وإنْ كانت ذات غنىً .

وحكمة الإسلام في كل ذلك مُبَيَنَةٌ لدى فقهاء المسلمين والباحثين في حكمة التشريع الرباني .

والردُّ على هذا السؤال لا يزيد على أنه تكرير لما

http://kotob.has.it

فصّله الباحثون من المسلمين .

ولكنّ واضعي الأسئلة التشكيكية لا يريدون أن يقرؤوا ما عند المسلمين من بيانات كافيات شافيات ، خوفاً على أنفسهم من أن يقتنعوا بها فيؤمنوا بالإسلام ويهجروا دينهم المحرّف .

وإنْ قرأها بعضُهم من أهل الهوى والتعصب ضدّ الإسلام والمسلمين طَمَسَها ، أو تلاعب في مفاهيمها ، وأبعدها عمَّنْ قد يتأثر بها من جماعتة ، والمناصرين لأهوائه وتحريفاته .

يا أهل الكتاب تعالوا فاقرؤوا ما عند المسلمين وتعالوا إلى حوار حُرٍّ مكشوف بيننا وبينكم . إنَّنا نرى بعض الدعاة إلى النصرانية منكم من رجال الكنيسة أو أصحاب الأهواء الأخرى ، يقرؤون ألف جواب مقنع ، يدحض تساؤلاتهم المشكِّكَة بالإسلام ، فيطمسونها كأنهم لم يقرؤوها ، ثم يعودون إلى طرح الأسئلة نفسها من جديد ،

http://kotob.has.it

بأساليب الدَّسِ والبثِّ الإعلامي التَسلُّلي ، الذي يُرَادُ منه إلقاء الشكوك في نفوس الجهلة بالدّين من عامة المسلمين ، ولا يُراد منه التوصل إلى معرفة الحقيقة .

قليلاً من الحق والعدل والإنصاف يا أهل الكتاب ، إنَّه لا ينفعكم عند اللَّه أن تدّعوا حب عيسى عليه السلام واتّباعه ، وأنتم تتبعون في الواقع مُحرّفي دينكم ، دين اللَّه الذي جاء به عيسى ، وأوصاكم فيه باتِّباع محمد متى بعثه اللَّه من بعد عيسى .

اقرؤوا ما جاء في انجيل "برنابا" ولا تقولوا هذا لا نعترف به ، فالمكرُ اليهودي قد حرّف لكم دينكم وأَبْعَدَكُمْ عن الحق ، كفاكم غفلةً واتباعاً للهوى والتعصب الأعمى ، واتِّباعاً للمنافقين من اليهود فيكم .

* * *

http://kotob.has.it

السؤال الرابع

" أين نجد الترابط المنطقي للّه والذي خلق البشر وأحبّهم جميعاً ، بينما نجد ـ كما في النصوص القرآنية ـ يحثُّ على قتال الكفار ؟ "

الجواب

أقول : إن الله عزّ وجلّ قد كرّم بني آدم بصفات لم يعطها لغيرهم ، والتكريمُ شيءٌ ، والمحبةُ شيء آخر .

أما محبة اللَّه لعباده فهي خاصّة بمن آمن به على ما أنزل سبحانه وتعالى ، وتزداد محبة اللَّه لعبده كلَّما أكثر العَبْدُ من طاعة ربّه وعبادته والعمل بما يرضيه .

فادّعاء أنّ اللَّه يحبّ الناس جميعاً ادّعاءٌ لا دليل عليه مطلقاً ، لا من العقل ، ولا من الرسالات الربانية الصحيحة ، ما دام الناس موضوعين في الحياة الدّنيا موضع الامتحان ، ولو كان اللَّه عزّ وجلّ يحبّ الناس جميعاً على خيرهم وشرهم ، وصالحهم وفاسدهم ، ومؤمنهم وكافرهم ،

http://kotob.has.it

وضالّهم ومهتديهم ، فلماذا يعذب يوم القيامة في جهنم من يستحقّ منهم العذاب ؟! ولماذا أيضاً يسعى النصارى في زعمهم لتخليص الناس من العذاب عن طريق الإيمان بالنَّصرانية ، وتكريمهم بهدايتهم إلى المسيحية ؟! ، ألا يكفيهم أنهم مشمولون بمحبة اللَّه ، واللَّه لا يعذب من يحبّه ؟! .

ليس صحيحاً أن اللَّه يُحبّ الناس جميعاً ، فاللَّه لا يُحبّ الكافرين ، ولا يُحبّ الظَّالمين ، ولا يُحبُّ الفاسقين ، ولا يُحبّ الطُّغَاة البُغَاة المتجبرين ،ولا يُحبّ المتكبرين ، ولا يُحبّ كُلّ مختالٍ فخور ، وهكذا إلى سائر المجرمين .

ولكنّ الله عزّ وجلّ يُحبّ لكل الناس أن يؤمنوا به حقّ الإيمان ، ويؤمنوا برسله جميعاً ، ويؤمنوا بما بعث اللَّه به رُسُله ، ويُحبّ لكلّ الناس أن يُسلموا لأوامره ونواهيه عن طريق إراداتهم الحرة ، لا جبراً ولا إكراهاً ، إنّ اللَّه عزّ وجلّ يحبّ للناس جميعاً أن يؤمنوا ويسلموا طائعين

http://kotob.has.it

مختـارين لِيُخَلِّصَهُـمْ مـن عذابه ، وليدخلهـم في جنتـه يوم الـدين ، دار كرامته التي أعـدَّها لعباده المـؤمنين به وبرسله أجمعين وبما جاءوا به عن ربهم ، وبناءً على الإيمان الصحيح الصـادق ساروا في صراط اللـه المستقيم يعملـون الصالحات عبر رحلة امتحانهم في الحياة الدنيا .

فمن عاند وكفر غَضِبَ اللَّه عليه ، ألم يغضب اللَّه على فـرعون وجنـوده حتى أغـرقهم في البحـر ؟ كمـا جاء في القرآن ، وكما جاء في سفر الخروج (في الإصحـاح الرابع عشر) . ألم يغضب اللَّه على بني إسرائيل حين عبدوا العجل الـذهبي في عهـد موسى عليـه السلام ، فأمـرهم بأن يقتلـوا أنفسهم ليتوب عليهم ، كما جاء بيان هذا في القـرآن ، وفي سفـر الخروج (الإصحـاح الثاني عشر) ؟ ألم يغضـب اللّـه على الكفـار الـوثنيين ، ويأمُـرْ بني إسرائيـل بمـداهمتهم في بلادهم وأرضهم في فلسطين ، ومقاتلتهم وقتل ذكورهم بحد السيف ، كما جاء في سفر التثنية ؟

http://kotob.has.it

وفي الإنجيل الأصل غير المحرف قد كُلِّفَ الذين آمنوا بعيسى أن يُقَاتِلوا في سبيل اللَّه، إذا تهيأت لهم وسائل القتال وأسبابه، لنصرة دين اللَّه، وإعلاء كلمته، ومقاومة الكفر والكافرين، والقرآن يكشف هذه الحقيقة بقول اللَّه عزّ وجلّ في سورة (التوبة /٩):

[إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقاًّ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم (١١١)]

وأؤكد هنا أن قتال الكافرين ليس لإكراههم على الإيمان، ولكن لتأمين حُرّيّة الناس في عقائدهم، ولإقامة الحق والعدل، ورفع الظلم.

وهذه قضية شرحها المفكرون المسلمون في مقالات مستفيضات فلا داعي هنا إلى تكرار هذا الموضوع، وأُحيل على ما كَتَبْتُ حوله في كتابي "أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها" [(١)]

---

(١) انظر الفصل الثامن منه.

http://kotob.has.it

بعد هذا أقول لطارحي السؤال : ألم تجتمع دول أوربا المسيحية كلُّها ، بقيادة رجال كنائسها لمحاربة المسلمين، فيما عُرِفَ في التاريخ بالحروب الصليبية ، التي استمَرَّتْ قُرَابَةَ مئَتَيْ سنة .

تأتي فيها جيوشهم الجرَّارة من بلدانها ، لقتال المسلمين في بلادهم بأرض الشام ؟! فأين هذا من محبّة اللَّه لكلِّ البشر ؟!

ألم تحتل الدول الاستعمارية الغربية النصرانية معظم بلدان العالم الإسلامي بالقوّة ، تعاونها الكنائس النصرانية ، وتبارك أعمالها ، مع أنها كانت تنشر العلمانية والإلحاد والكفر بالله ، وتنهب خيرات البلاد وتسخر رجالها ؟!

وعن طريق الدول الإستعمارية نشرت الجمعيات التبشيرية مؤسساتها المختلفة في بلدان المسلمين ؟!

فأين هذا من محبّة اللَّه لكل البشر ؟!

http://kotob.has.it

يا دعاة التبشير بالنصرانية ، آمنوا بالإسلام فهو خير لكم ، تنجوا يوم الدّين من عذاب ربكم في جهنم وبئس المصير ، وتدخلوا جنَّته دار كرامته التي أعدّها سبحانه وتعالى للمتقين المؤمنين المسلمين .

* * *

http://kotob.has.it

السؤال الخامس

" و في الدول الإسلامية التي تُطَبّقُ فيها الشريعة، هل التعـدُّدِيَّة (في كافة صورها الدينية والثقـافية والاجتماعية والسيـاسية والعـائليـة) هل ستعتبر هذه التعـدُّدِية رحمـة إِلَهِيَّـة تضمن الحرية والمسـاواة ، أم أنه ستفـرض الشـريعة على الجميع بشكل ديكتاتوري ، كما نراها حالياً في كثير من الدول الإسلامية ؟ "

الجواب

إن أي عالم مفكر منصف لا يطرح مثـل هذا السؤال العام .

فـالتعدّدية العائليـة من حيث كَوْنُها تعـدّدية عـائلية فقط ، موجودة في كل بلدان العالم الإسلامـي ، وفي الدولة الإسلاميـة نظرياًّ وتطبيقياًّ ، ويحكمها جميعـاً نظام عام يُطبّق على الجميـع دون استثنـاء ، ومـن أسـاء في التطبيـق اعتبره المسلمـون مـن المـذنبين العصـاة الخـارجين عــن الالتزام بالأحكام الإسلامية .

http://kotob.has.it

وهـذه التعدّدية موجودة في كلّ شعوب العـالم ، حتى عند الذين من مبادئهم إلغاؤها كالماركسيين .

والتعـدّدية السياسية : إن كانت بمعنى أنظمـة سياسية متعدّدة مختلفة فيما بينها ، فهو أمر لا يُوجَدُ في أيَّةِ دولـة من دول العالم ، ولا يُطالب بها إلا من يريد إقـامة صراع يؤدي إلى الانقسام والانفصال الحتمي عند التكافؤ ، أو إلى تَغَلُّبِ فريق على فريق ، ثم فرض نظامه .

وإن كانت بمعنى التعدّديّة الحزبية فالإسلام لا يمنع من حريّة الفكر ، وحريّة إبداء الآراء السياسية ، والاجتهادات الفـرديّة والجماعيّة في هـذا المجال . ولكـنَّ تشكيل أحزاب سياسية تسعى للوصول إلى الحكم لتحقيـق مصالح خاصة ، مقنَّعة بأقنعة العمل السياسي لمصلحة الشعـب كلِّ الشعب ، أمـر من عناصر النظام الـديمقراطي العلماني ، وهـو نظام له مجمـوعة أسس ومفاهيم يتفق في بعضها مع نظـام الإسلام في الحكم ويختلف في بعضها معه .

http://kotob.has.it

وشــرح عنـاصر الاتفـاق والاختلاف يتطلــب بحثـاً مستقلاً ، وباستطـاعة الحـريص على المعـرفـة التفصيليـة أن يرجع إلى مــا كتبــت حول هــذا المـوضوع في كتــابي : " كـواشف زيوف في المـذاهب الفكـرية المعــاصرة " (١)

ولســت أدري : هـل طـارحو السؤال علمـانيون أم نصارى دينون ؟

فـإن كـانوا دينيين فقـد عـرفنا أن تاريخ النصــارى الـدّيني يعتمد على النظـام الملكي الوراثي ، ولا يعتمـد على النظـام الـديمقراطي ، وإذا كـان الأمـر كـذلك فمـا علاقة سؤالهم بقضايا الدِّين النصراني ، في حوارهم مع المسلمين ، ومـن الأفضل لهم أن يتركوا مثل هذا الســؤال للعلمانيين الديمقراطيين ، وعندئذ فإننا على استعداد لأن نبيّن لهم نظام الإسلام في الحكـم بصـورة مُقْنِعَـة ، ونـنــاظرهم في عنـاصر ديمقـراطياتهم ، ونكشف لهم أن نظام الإسلام هـو الأحسن والأكمل .

---

(١) انظر الباب الثالث (النظم السياسية المعاصرة).

http://kotob.has.it

وأمّا أمر الأقليات غير المسلمة في الدولة الإسلامية ، فقد سبق بيان أوضاعها في جواب السؤال الثاني من أسئلتهم حول المساواة ، فلا داعي لإعادته هنا .

بقي الكلام على التعددية الاجتماعية والثقافية والدينية .

- أما التعددية الاجتماعية فلم أجد في السؤال عنها قضية محددة قابلة للبحث والبيان ، وحين يُبَيِّنُونَ لنا عناصرها فنحن على استعداد تام لبيان موقف الدولة الإسلامية منها بالتفصيل ، مع بيان مطابقته لأسس الحق والعدل .

- وأما التعددية الثقافية فالجواب حولها يكون ببيان ما يلي :

١- من الثقافات أنواع مشتركة بين شعوب الأرض جميعاً ، والوحدة فيها قائمة ، ولا تعدّدية في واقعها .

٢- ومن الثقافات أنواع مشتركة بين أهل الإيمان بالله ،

http://kotob.has.it

والوحدة فيها قائمة بين أهل الإيمان ، ولا تعددية في واقعها .

٣- ومن الثقافات أنواع خاصة بالملحدين الذين لا يؤمنون بالله ، وهذه الثقافات لا تتبّناها الدولة الإسلامية ، ولا تضعها ضمن أنظمتها ، وحين تجعل شيئاً منها في مناهج دراستها فلترُدَّ عليها ، ولتبين زيفها وبطلانها ، وهذا هو ما عليه كل الدول الدينية النصرانية واليهودية وغيرها .

٤- ومن الثقافات أنواع خاصة بأديان الأقليات غير المسلمة . والدولة الإسلامية تسمح لهذه الأقليات بأن تنشىء ما تشاء من مؤسسات تعليمية خاصة بأبناء مِلّة كلٍّ منها ، لتعليمهم ثقافاتهم الدينية الخاصة .

ـ وأما التعدّدية الدّينية فقد وجِدَتْ عبر تاريخ الدول الإسلامية الطويل ، طوائف نصرانية ويهودية

http://kotob.has.it

وبوذية وبرهمية ،وقد كانت لهم من الدول الإسلامية الحماية التامة ، والرعاية الشاملة ، ولم يضارّوا من أجل دينهم في أي أمر من أمورهم الخاصة بهم .

وما هو مباح في دينهم فإنهم يعاملون فيه بمقتضى أحكام دينهم في بيئاتهم الخاصة دون أن يُخِلّوا فيها بما يفضي إلى إفساد أحوال المسلمين الذين هم الكثرة الكاثرة.

أمّا النظام المشترك العام الذي تحكمه علاقات مدنيّة وإداريّة واقتصادية وأَمْنِيّة فالجميع فيه سواء ، وهذا أمر تتفق عليه نظريات الحقوق الدولية جميعها .

* * *

http://kotob.has.it

خاتمه :

لجأت في هذه الإجابات إلى الإيجاز ، ولم أفصّل فيها ، لأنني خشيت إذا بسطت وفصّلت أن يملَّ القارىء ، ولا يستوفي قراءة أجوبة كلّ الأسئلة .

وأشير إلى أن هذه الإجابات يمكن لو بسطتها وفصّلت عناصرها أن تكون سفراً ضخماً.

وحين يرى المبشرون النَّصارى متابعة توجيه أسئلتهم التشكيكية من هذا القبيل ، فإنَّ أهل الفكر الإسلامي مستعدون لأن يواجهوا المبشرين ويلاحقوهم في مناظرات تتناول كل قواعد الديانة النصرانية المحرَّفة عن أصولها الربَّانية ، وكُلَّ تطبيقات النصارى التي يخجل منها عامتهم فضلاً عن خاصتهم ، والَّتِي جعلت الدّين النصراني مهجوراً منبوذاً في البلدان المسيحية .

وأنصحهم بأن من الأكرم لهم ولعقولهم ولما هم عليه من انحرافات في الفكر وفي السلوك ، أن يثوبوا إلى

http://kotob.has.it

رُشْدهم ، وأن يكفوا عن طرح الشبهات وإثارة التشكيكات التي تزيد الدِّين الإسلامي تَمَكُّناً وقُوَّةً وظهوراً في الأرض . واقرأ عليهم قول الله عزّ وجلّ في القرآن في سورة (الصف /٦١) :

[يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَاللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)]

وكان الفراغ من كتابة هذه الأجوبة

في غرة شعبان / ١٤١٠ هجرية .

الموافق لـ ٢٦ / ٢ / ١٩٩٠ ميلادية .

عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني

عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى

مكة المكرمة

http://kotob.has.it

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة الكتاب	٥
صورة أسئلة المؤسسة التبشيرية العاملة تحت تنظيم " الآباء البيض "	٨
الإجابات على الأسئلة	١٣
(١) مقدمة عامة	١٤
(٢) الحرية في مفهومنا الإسلامي	٢٩
(٣) المساواة في مفهومنا الإسلامي	٤٥
(٤) شعارا الحرية والمساواة صناعة يهودية	٥٩
(٥) أجوبة الأسئلة	٦١
أولاً : أجوبة أسئلتهم حول الحرية	٦٣

http://kotob.has.it

جواب السؤال الأول حول الحرية ٦٣

جواب السؤال الثاني حول الحرية ٦٧

جواب السؤال الثالث حول الحرية ٧١

جواب السؤال الرابع حول الحرية ٧٤

جواب السؤال الخامس حول الحرية ٧٨

ثانياً : أجوبة أسئلتهم حول المساواة ٩٠

جواب السؤال الأول حول المساواة ٩٠

جواب السؤال الثاني حول المساواة ١٠٠

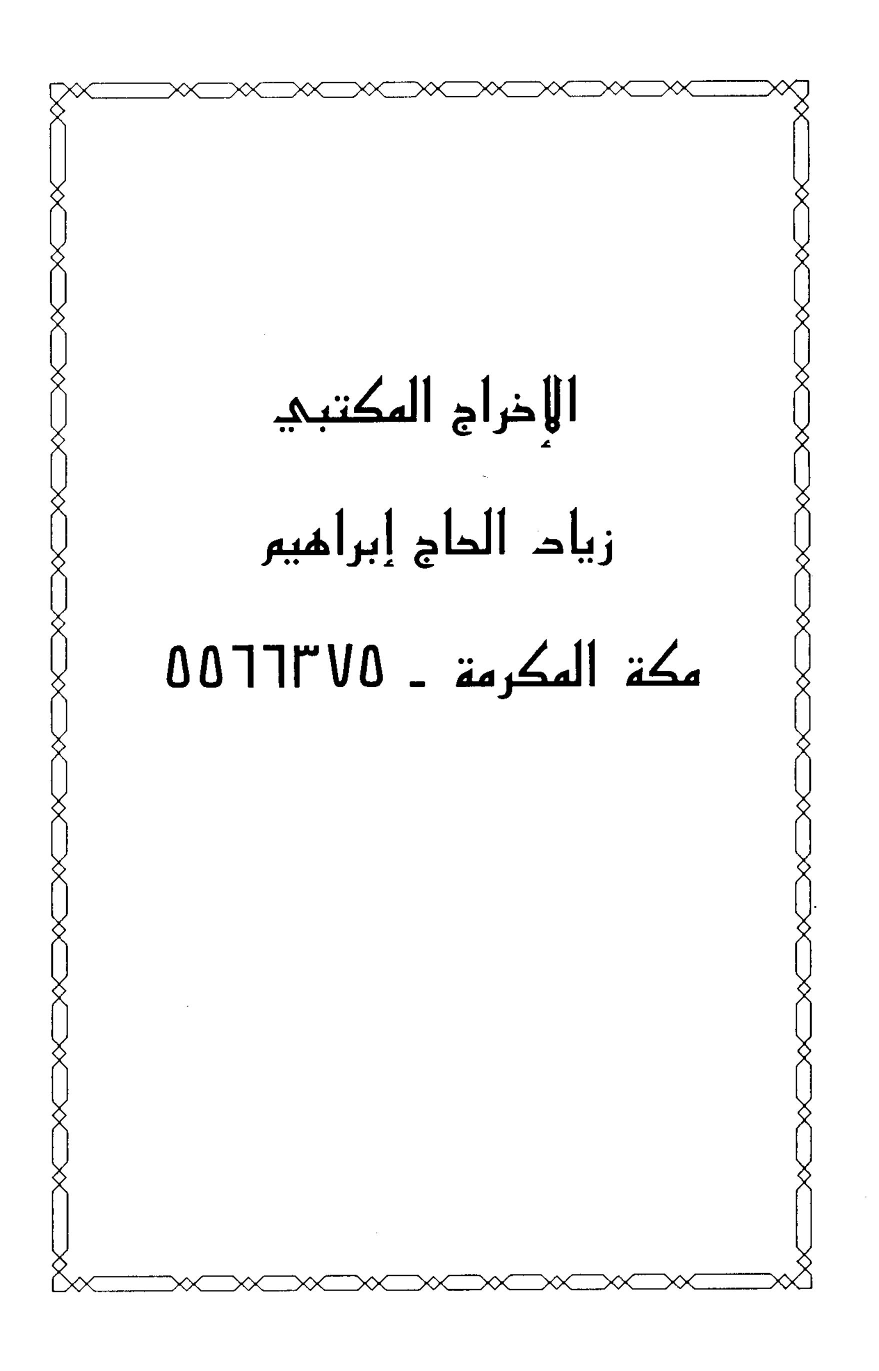
جواب السؤال الثالث حول المساواة ١١٥

جواب السؤال الرابع حول المساواة ١٣١

جواب السؤال الخامس حول المساواة ١٣٧

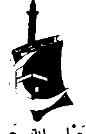
خاتمة ١٤٣

http://kotob.has.it



http://kotob.has.it

W. I. L.
CONTINENTAL COUNCIL FOR
MOSQUES IN EUROPE
MADRID - SPAIN



رابطة العالم الاسلامي
المجلس الأعلى العالمي للمساجد
الأمانة العامة
للمجلس القاري لمساجد أوروبا
مدريد - اسبانيا

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾

هذا الكتاب أجوبة الاسئلة التشكيكية الموجهة من قبل إحدى المؤسسات التبشيرية إلى بعض المفكرين الغربيين وعدد من المسلمين، هو صورة عما يعتمده التبشير في تزييف الحقائق وتزوير المعلومات.

وقد وافق المجلس القاري الأوروبي للمساجد على طباعة الكتاب وتوزيعه على المعنيين من الأقليات المسلمة والمهتمين بالدعوة الاسلامية في الخارج.

والله من وراء القصد

الناشر
دار المنارة
مكة - جدة

http://kotob.has.it